طلقة تنوير
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي
لائحة القومي العربي

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

طلقة تنوير 56: ماذا يخبئ الطالع لأمة العرب في عام 2019؟

فضيحة " دير شبيجل": هل ينتهي التسليم بمصداقية الإعلام الغربي؟

كريمة الروبي

كلما انتقدنا أو شككنا في مصداقية خبر أو واقعة تخص قضايانا العربية، يرد علينا من يقول أن تلك الأخبار جاءت نقلاً عن صحف غربية كبرى، وكأن الصحافة الغربية منزهة عن الهوى والأخطاء، على الرغم من تبني تلك الصحف لوقائع لم تحدثْ، إلا أن الثقة المطلقة فيها لدى الكثيرين تجعلهم يصدقون دون تفكير ما تقدمه لهم شبكة المصالح الغربية عبر إعلامها.

لا شك في أن الإعلام الغربي يقدم معلومات يمكن الاستفادة منها، كما أن مساحة التنوع المسموح بها داخله تكشف عن الكثير من القضايا، إلا أنه يقدم أيضاً معلومات غير دقيقة أو مجتزأة، والحرية التي يتمتع بها ليست مطلقة، بحكم تبعيته لدول وحكومات أو رجال أعمال، وهو ما علينا أن نفهمه حتى لا نقع فريسة لأخباره المزيفة التي كثيراً ما يدسها وسط سيل من الأخبار التي تبدو حقيقية.

مناسبة هذا الموضوع هو اعتراف مجلة "دير شبيجل" الألمانية بأن مراسلها الشاب "كلاس ريليوتيوس" قد قام بفبركة 14 مقالاً صحفياً أهمها عن سورية والتي حصل بسببها على جائزة مراسل السنة عن مقال بشأن "شباب سوريون ساهموا في انطلاق تظاهرات 2011 ضد الحكومة"، كما كان قد حصل على العديد من الجوائز تقديراً للصحافة الاستقصائية التي يقوم بها، من بينها جائزة "صحفي العام" من محطة "سي إن إن" في 2014.

وهو ما يؤكد أن الجوائز الصحفية - كغيرها من الجوائز- ذات بعد سياسي لا مهني، وإلا لما استطاع صحافي ملفق الحصول على جوائز عن موضوعات لا تتمتع ولو بقدر ضئيل من المهنية والمصداقية، فعلامَ كانت الجوائز إذن؟!.

وللعلم فإن الصحفي نفسه صاحب المقالات المفبركة، يواجه اتهامات بالنصب عن طريق تنظيم حملة مزيفة لجمع التبرعات لأطفال سورية، حيث طلب من القراء عبر البريد الإلكتروني التبرع بالأموال للأطفال الذين كتب عنهم في تقاريره المفبركة، وذلك عبر حسابه المصرفي الشخصي! ويبدو أن انتصار الجيش العربي السوري ستمتد آثاره لتشمل كشف الحقائق حول كل ما أثير حول الحرب في سورية وكل من استفاد وتاجر بها.

طلقة تنوير 56: ماذا يخبئ الطالع لأمة العرب في عام 2019؟
المجلة الثقافية للائحة القومي العربي... عدد 1 كانون الثاني 2019

- فضيحة "دير شبيجل": هل ينتهي التسليم بمصداقية الإعلام الغربي؟/ كريمة الروبي
- ماذا يخبئ الطالع لأمة العرب في عام 2019؟/ عبدالناصر بدروشي
- مسألة الهوية الوطنية، أقطار بلاد الشام نموذجاً/ إبراهيم علوش
- ملاحظات على هامش التاريخ الحديث/ فارس سعادة
- أبو الأعلى المودودي: من المخابرات البريطانية إلى التآمر على "ذو الفقار بوتو"/ السيد شبل
- صهاينة في أنقرة.. "حماة" الإسلام والمسلمين/ صالح بدروشي
- في ذكرى شهيد العروبة (صدام حسين)/ طالب جميل
- الصفحة الثقافية - قصة قصيرة: مكرٌ سيء/ إبراهيم يونس البطوش
- قصيدة العدد: تَنَبَّهُوا وَاسْتَفِيقُوا أيُّهَا العَرَبُ / إبراهيم اليازجي
- كاريكاتور العدد

لمتابعتنا انظر:

لمتابعتنا على فيسبوك، ابحث عن:
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:
موقع الصوت العربي الحر
www.freearabvoice.org

راسلنا على:
arab.nationalist.moderator@gmail.com

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

إن ما شاهدناه في الأعوام الأخيرة الماضية من الصحف والقنوات الغربية الكبرى بعيد تماماً عن المهنية التي كان يظن البعض أنها تتمتع بها، ولا نقول حياداً فالإعلام ليس عليه أن يكون محايداً بل عليه أن يتمتع بقدر مناسب من المهنية والمصداقية في تقديم وتفسير الأخبار، والمهنية هنا تشمل موثوقية المصادر، وهو ما أصبحت تفتقده تلك الصحف ووسائل الإعلام في تغطيتها للكثير من الأخبار عبر الاعتماد على مصادر مجهّلة مثل "ذكر مصدر – صرح ناشط"، أو الاعتماد على مصادر ذات أهداف وانحيازات تجاه القضية المطروحة مثل الاعتماد على "المرصد السوري لحقوق الإنسان" والذي اعتمدت عليه الكثير من التقارير الإخبارية بخصوص الحرب في سورية وعليها. على المستوى الأكاديمي تهدد مثل تلك الأمور مصداقية الصحيفة حيث أن تجهيل المصادر يفتح الباب أمام تلفيق وفبركة الأخبار.

الغريب أن مثل هذا الاعتراف بالفبركة لن يثني البعض عن الوثوق بالإعلام الغربي والسير خلفه من دون تفكير، فمدى صحة الخبر لم يعد بمصادره ودلائله بل بالوسيلة التي يقدم عبرها. فحين ننكر ما قيل بخصوص إقدام الجيش العربي السوري على استخدام السلاح الكيماوي ونسوق البراهين، يصدق الجمهور ما تبثه وسائل الإعلام الغربية التي تعتمد على فيديوهات مفبركة لمنظمة مشبوهة صنيعة المخابرات البريطانية وهي "الخوذ البيضاء"، فعلى الرغم من أن مصادر الإعلام الغربي في تلك القضية غير موثوقة ومنحازة وغير موضوعية إلا أنها مازالت الأكثر مصداقية لدى الكثيرين من شعبنا العربي!.

لا شك أن الشعور بالدونية هو ما يفسر كثيراً من هذا الانقياد الأعمى، وهو نفس الشعور الذي يجعل البعض يغفر لوسائل الإعلام تلك الأخطاء الإعلامية وينساها ويقع في أفخاخها مجدداً، في حين ما زالت الملايين تكثر الحديث عن مزاعم حول عدم دقة إذاعة "صوت العرب" في الماضي أو إعلام المقاومة في الحاضر.

الاعتماد على الصحف الغربية في تغطية الأحداث ليس المشكلة، بل الوثوق المطلق بها دون تفكير أو تدقيق هو الذي يؤدي – وأدى بالفعل- للوقوع في الأخطاء. لذا فلا انعزال عنها ولا ثقة مطلقة بها. وإن كان لا بد من متابعة وسائل الإعلام الدولية، فالعالم ليس كله أمريكا وأوروبا، فالإعلام الروسي أوالصيني أكثر مصداقية وأقرب لوجهة النظر العربية.

ماذا يخبئ الطالع لأمة العرب في عام 2019؟

عبدالناصر بدروشي

عند أفول نجم كل سنة، تزدحم القنوات الإعلامية والصحف بالمنجمين ومن يسمون بالفلكيين يتنبؤون بالمستقبل وما تحمله السنة القادمة من أحداث، كذلك في السياسة، يطل علينا المتنبئون من الساسة و"نجوم" التحليل السياسي وعدد من "النخب" ليقدموا للمتابع العربي قراءة في أهم أحداث العام المنصرم وبما يمكن أن تحمله السنة الجديدة من آمال وآلام.

إلا أن أغلب المتنبئين من الساسة اليوم، في قراءتهم لأحداث سنة 2018، وتحليلاتهم لمآلات الأمور في سنة 2019 يخبروننا بما هو ظاهر لنا، والمواطن البسيط يمكنه أن يدرك ويستنتج ما يستنتجونه بدون الحاجة إلى امتلاك مهارات تحليلية ولا سعة إطلاع في السياسة والاقتصاد..

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

مثلاً، لا يمكنك ألا تنتبه، وأنت تتجول في الشوارع العربية وفي الساحات والأسواق، إلى الوجوه الهائمة والحزينة، ولا تحتاج إلى مهارة الفراسة لترى نظرات الأسى في عيون المواطن على حال أمة تتناهشها كلاب الإمبريالية المسعورة ووكلاؤها من بني جلدتنا..

لست بحاجة إلى أن تكون خبيراً إقتصادياً حتى تعرف أن الوضع الاقتصادي التعيس في كل الأقطار العربية واحد، وأن غلاء الأسعار قد قصم ظهر المواطن العربي..

لست بحاجة للتدقيق كثيراً لتتبين آثار القتلة الاقتصاديين وسياط المحتكرين البارزة على ظهر المواطن الذي امتلأ بالندوب..

الخوف والذعر والرعب من المستقبل ظاهر في أعين المواطنين، وفقدانهم للأمل في أن يحمل لهم المستقبل غداً أفضل بفعل الواقع المتردي وبفعل نخبة أدخلت في قلوبهم الهلع بدعوى "الواقعية".

ما يلفت الانتباه هنا هو أن أدعياء الواقعية من المحللين السياسيين يسلطون الضوء على مشاهد التخلف والقتل والدمار وهي واضحة كالشمس في رابعة النهار، ويغفلون ويطمسون ويعتمون على الانتصارات الكبيرة والمهمة والتي لا يقدر المواطن البسيط على تمييزها وهو الذي يفتقر للقدرة على التحليل والمسك بالخيوط المتشابكة، والذي لا يمتلك نظارات تمكنه من الرؤية وسط دخان الحرب والدمار والقصف الحربي والإعلامي..

أخطر ما يقوم به الإعلام و "النخب" العربية اليوم هو تكسير نفسية العربي والحرص على أن يتجرع مرارة طعم الهزيمة حتى وإن كان منتصراً..

أخطر ما تقوم به أبواق الإمبريالية اليوم هو إخراج وتلبيس النصر ثوب الهزيمة حتى لا يرفع العربي رأسه مع أن حصيلة عام 2018 تبين أن مسلسل الهزائم العربية قد توقف نسبياً، وأن أمتنا العربية استطاعت أن تنتقل من وضعية التراجع والهزيمة إلى وضعية المقاومة والهجوم في أكثر من موقع، من دون أن نزعم أن المشروع القومي العربي يتقدم، إنما نُصِرُ على أن المشروع الإمبريالي-الصهيوني-الرجعي العربي يتراجع وينهزم..

إن معرفة ما تخبئه لنا سنة تسع عشرة وألفين ليس أمراً صعباً، وليس بحاجة لمنجمين ولا مشعوذين فلكيين كانوا أم سياسيين، وما سنحصده سنة 2019 هو ما زرعناه سنة 2018، ومياه القدر ستجري في المسار الذي نحته الفعل السياسي على الميدان..

ما هي الانتصارات الكبيرة والمهمة التي نتهم أغلب النخب بالتعمية عليها؟ وكيف لنا أن نزعم زعماً كبيراً بحجم القول بأن مسلسل الهزائم قد توقف وأن العرب انتقلوا إلى وضعية الدفاع والهجوم بعد الهزائم والانكسارات؟

على الجبهة الفلسطينية:

* تتكرر عمليات القنص والطعن والدهس من قبل شباب فلسطين بالإضافة إلى مسيرات العودة، إعلاناً من شبابنا بأن ما يسمى "صفقة القرن" ساقطة وأن الاحتلال زائل وإن طال، وأن الدم يرخص فداءً للأرض والعرض وأن المقاومة هي الخيار الوحيد والاستراتيجي في مواجهة الاحتلال الصهيوني على الرغم من كل موجات التطبيع الرسمي العربي.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

* أبدع الشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال وتطور أداؤه، فبعد أن كان الذئب الفلسطيني المنفرد يدهس ويطعن ويستشهد على الفور، أصبح ينفذ عمليات نوعية تودي بحياة المحتلين وينسحب بسلام ويدوخ المخابرات الصهيونية (الشهيد أشرف نعالوة نموذجاً).

* استعملت الأجنحة العسكرية المقاومة للفصائل الفلسطينية صواريخ الكورنيت السورية بالاضافة إلى التمويل والدعم طيلة عقود مضت، وهذا يثبت أن سورية لطالما كانت ولا تزال عصب المقاومة وروحها وبدون سورية لما كانت المقاومة الفلسطينية قادرة على امتلاك قوة كفيلة بردع العدو كما حصل في السنوات الأخيرة.

على الجبهة اليمنية:

* صمد اليمن في وجه عدوان عسكري غاشم وظالم، ولم تفلح محاولات التجويع في شراء ذمة العربي اليمني الذي صمد وقاوم آل سعود رغم الجوع والمرض والأوبئة التي طالت مئات الآلاف بل الملايين كما أن القصف والقتل والدمار لم يقف حائلاً أمام كسر المقاتل اليمني لشوكة العدوان،

كما أن الحكمة اليمانية حضرت بقوة أذهلتنا بعد جريمة اغتيال الزعيم علي عبد الله صالح، فرغم الجرح الغائر المؤلم الذي سببه اغتيال علي عبد الله صالح لم يندفع أغلب الموالين له في صفوف الجيش والشعب إلى أحضان آل سعود وقاتلوا ببسالة ضد آل سعود، وبفضل الحكمة اليمنية لم تتصدع الجبهة الداخلية في مواجهة تحالف البغي الذي يقوده آل سعود.

على الجبهة اللبنانية:

* صار حزب الله أصلب عوداً وأصبح يمتلك من الخبرة القتالية التي تمكن منها في الجبهة السورية ما يرعب الصهاينة، كما أن ترسانته العسكرية والصاروخية باتت تؤرق الكيان الصهيوني أكثر من ذي قبل، بالإضافة إلى البرهان الذي قدمه في الآونة الأخيرة على قدرته على التسلل خلف خطوط العدو وتمكنه من تصوير القوات الصهيونية من دون أن تحس بشيء وتمكنه من سلب العدو أسلحة في وضح النهار بكل هدوء وسرية وبدون أدنى اشتباك.

على الجبهة السورية:

* تحررت أغلب الأراضي العربية السورية، بعد عودة حلب إلى الحضن العربي السوري، وسيطرت الدولة على أكبر مساحة من أراضيها بعد معارك وملاحم أسطورية سطرها الجيش العربي السوري وهو يواجه أعتى موجة تكفيرية مدعومة من حلف الناتو وتركيا والكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية وأجهزة المخابرات الغربية.

حصيلة هذه الملاحم كانت: استعادة الغوطة، تحرير درعا وجنوب دمشق، واليرموك، استعادة القلمون، تحرير كامل الجنوب والقنيطرة .. وآخرها دخول الجيش العربي السوري إلى مدينة منبج ورفع علم الجمهورية العربية السورية في سمائها.

* بعد أن تكرر احتفاظ سورية بحق الرد، في ظروف تكالب عشرات القوى الإقليمية والدولية عليها، وبعد أن شكك الخونة والأعادي في قدرة الجيش العربي السوري، نجحت الدفاعات الجوية السورية في صد أكثر من عدوان صهيوني وأسقط أكثر من طائرة صهيونية، وعشرات الصواريخ، ورد عليها بالمثل.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

* تصدى الجيش العربي السوري للعدوان الصهيوني ورد بقصف مواقع صهيونية وإعلام العدو يعترف بنجاح أسود سورية في اصابة أهداف داخل كيان الاحتلال.

* زيارة الرئيس السوداني عمر البشير لسورية ولقاؤه بالرئيس بشار الأسد يعد انتصاراً عربياً سورياً كبيراً، فنظام البشير المنخرط في حلف آل سعود بكل ما أوتي من قوة والذي سخر الجيش السوداني لخدمة آل سعود لا يجرؤ على زيارة سورية بدون ضوء أخضر سعودي، سواء كانت زيارته لنقل رسائل خليجية أو بمبادرة فردية فهذا يعد انتزاعاً للاعتراف بمشروعية النظام العربي السوري القومي المقاوم بعد أن صرح البشير في حوار مع صحيفة عكاظ السعودية، نشر الاثنين 14 مارس/آذار 2016 قائلاً: "إن الرئيس السوري بشار الأسد لن يرحل وإنما سيقتل".

* فُتِح معبر نصيب وعودة الحياة للحدود السورية الأردنية التي تعتبر شرياناً اقتصادياً مهماً سيساهم في إنعاش الاقتصاد السوري وهو ما يصب في صالح المواطن العربي السوري والأردني.

* فُتِحَت سفارة الإمارات في دمشق، وهذا نصر عربي مبين، فحين يرغم أحد الرجعيات العربية على التعامل الرسمي والدبلوماسي مع النظام الرسمي للجمهورية العربية السورية فهذا يعد انتصاراً واعترافاً واستعداداً للتعامل مع الدولة السورية كأمر واقع بعد أن ساهمت الإمارات العربية لسنوات طوال بتمويل الحرب على سورية.

* عادت حركة الطيران المباشر تدريجياً بين تونس ودمشق وبدأ تنظيم رحلات مباشرة.

على الجبهة التونسية:

* رغم تصاعد موجات التطبيع في تونس وارتهان حكامها الإخونج والليبراليين للإملاءات الصهيو- أمريكية، إلا أن فيها مناضلين أشاوس قضّوا مضاجع المطبعين،

فقد نجح المناضلون في تونس في إجهاض أكثر من مناسبة تطبيعية ثقافية وسياحية ورياضية وقد انخرط القضاء في معركة مقاومة وتجريم التطبيع عبر مساهمة مشرفة بعد أن صدر أكثر من حكم قضائي يقضي بالغاء رحلة تطبيعية إلى فلسطين المحتلة بالإضافة إلى منع أكثر من وفد رياضي صهيوني من المشاركة في تظاهرات رياضية ومنع عرض فيلم تطبيعي بطلته مجندة صهيونية.

على الجبهة الجزائرية:

* رغم أن الجزائر لا يعد بلد "مواجهة" نظراً لبعده الجغرافي عن مسرح الأحداث الرئيسي في المشرق العربي، إلا أن النظام الوطني فيها يحسب له أنه لم ينسق خلف تسونامي التطبيع الذي اجتاح الوطن العربي، ولم ينسق خلف القوى الرجعية في حربها على سورية، وكانت دائماً داعماً وعوناً لتونس في محنتها التي تعيشها اليوم في ظل حكم منظومة الربيع الصهيوني.

على الجبهة المصرية:

* رغم انغماس النظام الرسمي في التطبيع من رأسه حتى أخمص قدميه منذ فترة حكم السادات ومبارك مرورا بحكم الاخوان وحتى فترة نظام الرئيس عبد الفتاح السيسي، إلا أن اجتثاث حكم الإخونج حال دون تحول مصر إلى شوكة في خاصرة سورية، وإلى قاعدة للربيع الدموي، حيث أن الإخوان في آخر خطاب لرئيسهم مرسي العياط المعروف بخطاب "الإستاد" طالب الجيش المصري بدعم ما أسماه بـ"الثورة السورية" ضد الدولة السورية، كما أن مصر لو بقيت إخونجية لكانت قوة راعية للسعار الطائفي ورأس حربة في مشروع تمزيق وحدة النسيج المجتمعي في مصر وفي عدة أقطار عربية.

طبعا لن يدفعنا أي منجز تقوم به أي قوة عربية أو دولة عربية إلى مباركة التطبيع أو أي ممارسة تنتهك ثوابتنا القومية!

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

على المستوى الإقليمي والدولي:

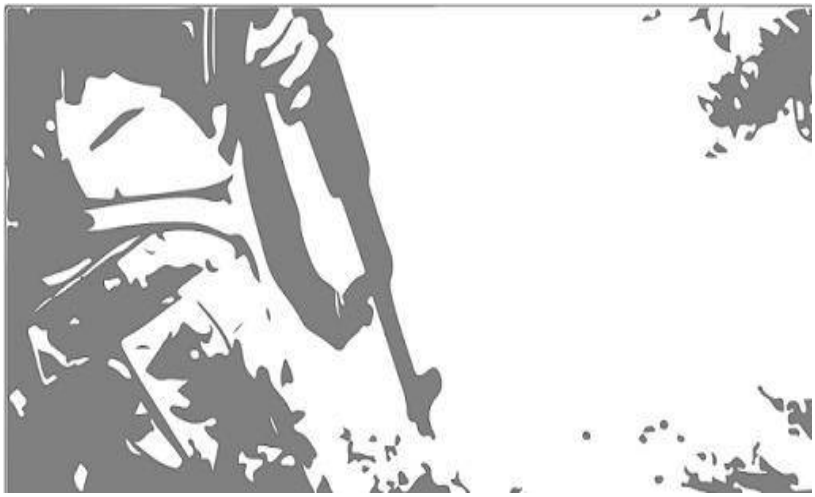

* توتر العلاقات بين الحليف الروسي والعدو الصهيوني إثر غارة قام بها الطيران الصهيوني على مدينة اللاذقية أدت إلى إسقاط طائرة روسية ووفاة طاقمها بالخطأ، وهذا ما أدى لاستلام سورية لمنظومة الصواريخ(س300).

* الحلفاء الصينيون والروس والإيرانيون أصبحوا أقوى من ذي قبل وأصبحوا فاعلين أساسيين في المعادلات الدولية واشتباكهم مع أعدائنا الرئيسيين وتقاطع المصالح بيننا وبينهم في سورية يعزز من صمودنا ويزيدنا قوةً في مواجهة العدوان، فقوة الحلفاء ستزيد من قوة وصمود جبهتنا الداخلية.

هذه حصيلة سريعة لأهم الأحداث خلال سنة الـ2018 والتي تنبئ بما ستحمله لنا سنة الـ2019، وهي أحداث تنبئ بتحول، لا يزال بعيداً عن امتلاك المشروع القومي العربي زمام المبادرة السياسية والميدانية، إلا أن مشاريع أعداء الأمة ومخططاتهم تبوء بالفشل، وهذا يعني خلط حيز مليء باحتمالات النهوض القومي، وأن الأمة العربية بصدد الانتقال من حالة الدفاع الاستراتيجي إلى حالة التوازن الاستراتيجي مع أعدائها.

أما بالنسبة لغربان الشؤم التي تنعق ليلاً نهاراً فإن محاولة إقناع العربي أنه مهزوم وأن مستقبله أسود، حسب ما يتبين لهم خلال قراءتهم لطالعنا... فإننا نقول لهم بأن ما ينتظرنا في السنة المقبلة قد كتبه الجندي العربي السوري والمقاتل اليمني والمقاوم اللبناني والفدائي الفلسطيني والمناضل السياسي العربي في كل شبر من هذا الوطن الكبير.

ولعل عملية بسط السيطرة الكاملة للجيش العربي السوري على منبج والتي كانت تبدو في عداد العمليات الصعبة أو المهمات المستحيلة، وإذا بها تتم بلمح البصر، هي خير دليل على ما نقول... وندعو شبابنا العربي بالمناسبة إلى أن يتأمل فيها بدل الإعجاب بشطحات البطل الفردي الهوليودي في فيلم "مهمة مستحيلة" لتوم كروز، فالجيش العربي السوري بطل حقيقي يقوم بمهمات مستحيلة يومياً لإنقاذ مصير أمة العرب.

بسط السيطرة الكاملة على منبج يعني أن أداء الجيش العربي السوري اختتم سنة 2018 بمستوى راقٍ جداً يبشر بنجاحات كبرى في 2019، أما بالنسبة للذين يركزون على النقاط السوداء في واقعنا العربي فالتاريخ والتجربة والمنطق يعلمنا أنه كلما ازداد السواد كلما اقتربنا من الفجر.

وفي الختام نذكرهم بأبيات أبي تمام التي يصف فيها معركة فتح عمورية ضد البيزنطيين، مكذباً المنجمين الذين نصحوا المعتصم بأنه لا يستطيع فتحها إلا في الصيف، وحسب الأبراج والطالع فإن خوض الحرب ضد الروم لن يكون قرارا صائباً:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدهِ الحدُّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ
بيضُ الصَّفائحِ لاَ سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ
والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الرِّوايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

مسألة الهوية الوطنية، أقطار بلاد الشام نموذجاً

إبراهيم علوش

أدرك أجدادنا في بلاد الشام، أكثر من أي منطقة أخرى في الوطن العربي، أن الأقطار الناشئة بعد جلاء المستعمر البريطاني والفرنسي عسكرياً كانت نتاج "هندسة استعمارية"، بمعنى أنها لم تأتِ نتاج تطور طبيعي أدى إلى نشوء دول شامية في سورية ولبنان والأردن وفلسطين، بل نتاج مسطرة المستعمر ومقصه، وإذا كانت كل الأقطار العربية قد تم رسم حدودها استعمارياً، فإن اتفاقية فرانسوا جورج بيكو ومارك سايكس عام 1916 أمعنت، أكثر ما أمعنت، في تقسيم بلاد الشام لتهيئة أفضل الظروف لقيام الكيان الصهيوني، لمنع وجود كتلة مركزية قوية بجواره، ولاقتطاع فلسطين في جنوب غرب بلاد الشام، فيما كان يفترض بصحراء سيناء أن تشكل حاجزاً جغرافياً سياسياً بين مصر والكيان الصهيوني المزمع من جهته الغربية.

من البديهي طبعاً أن تجزئة الوطن العربي ككل في مستهل القرن العشرين كان يهدف لإبقائه ضعيفاً ومتخلفاً وتابعاً للخارج الإمبريالي، وأن مشروع إعادة تفكيك الأقطار العربية على خطوطٍ طائفية وجهوية وعِرقية وعشائرية في القرن الحادي والعشرين، على نمط ما يسمى "الربيع العربي"، هو تتمة لديناميكية التفكيك والتجزئة التي تهدف لتحقيق الأمن الاستراتيجي للكيان الصهيوني وللهيمنة الإمبريالية، أما في المحيط المباشر لبلاد الشام، فقد باتت فكرة اختلاق أقطار متنافرة و"مستقلة" بشدة عن بعضها، إنما غير مستقلة عن الإمبريالية، ضرورة حيوية لا للهيمنة الإمبريالية فحسب، ولا لوجود الكيان الصهيوني ككيان غريب طارئ فقط، بل لخلق مجال حيوي ضعيف يمكن للكيان الصهيوني أن يملأه ويحوله إلى حقل لنفوذه، وإلى موطئ قدم للتغلغل في العراق والجزيرة العربية ومحيط البحر الأحمر، موطئ قدمٍ يساعدة على بث تأثيره إلى شواطئ شمال إفريقيا العربية، على غرار ما فعله أجدادنا الفينيقيون الكنعانيون العرب، ما دام قد أمِن "شر" أهل بلاد الشام من جهة الشرق والشمال.

كان من الضروري إذاً للدول التي صممها الاستعمار قبل مغادرته أن تكون ضعيفة لكي تكون تابعة، وكان من الضروري أن تبقى تابعة لكي تصبح مطبّعة مع العدو الصهيوني، ولهذا فإن التبعية للإمبريالية عربياً، من المغرب حتى البحرين، سرعان ما تتحول، على ما رأيناه في العام 2018 مثلاً، إلى تطبيع مع العدو الصهيوني، وكنا قد رأينا من قبل كيف تحولت التبعية إلى معاهدات واتفاقيات، على غرار "اتفاقية أوسلو" التي أنتجت سلطة مطبعة تتعهد أمن العدو الصهيوني، وعلى غرار معاهدتي "كامب ديفيد" و"وادي عربة"، وتدل المؤشرات على أن عملية تحويل الأردن والسلطة الفلسطينية إلى موطئ قدمٍ للتغلغل الصهيوني في المنطقة جارية على قدمٍ وساق من خلال مشروع "الكونفدرالية الثلاثية" مع الكيان الصهيوني، التي سماها شمعون بيريز "كونفدرالية الأراضي المقدسة" في كتابه "الشرق الأوسط الجديد" الصادر عام 1996، والذي قال فيه أيضاً "إن العرب خليط غير متجانس لا يربطه رابط"!

مثل تلك "الكونفدرالية الثلاثية" المهندسة صهيونياً وإمبريالياً، التي يتم حالياً إعداد مشاريع بنيتها التحتية، ومنها شبكة سكك حديدة تصل عبر الأردن من الكيان الصهيوني إلى الدول الخليجية، يمكن أن تصبح أيضاً "هوية"، ويمكن حتى أن تزعم إنها "وطنية"، بدلالة تعبيرها مؤسسياً عن قاطني مكان مادي ملموس، إذا خضعنا لمنطق الهويات المفبركة، ويمكن أن ينشأ في حيز مثل تلك "الكونفدرالية" اقتصاد ومؤسسات و"ثقافة" خاصة بتلك "الكونفدرالية" تسعى لفرض وجودها ونيل الاعتراف بها "كأمر واقع" إذا ما حدثت، ويمكن لها أن تسعى لإلحاق لبنان "المستقل" (عن سورية)

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

بها، وأي جزء شارد من سورية إن وجد، لكن سيكون من قبيل السذاجة الانتحارية والجهل القاتل بأبسط أسس الجغرافيا السياسية أن تتعامل أي دولة عربية مركزية مع مثل هذا التطور باعتباره لا يعنيها، لا سيما دمشق التي لا يمكن لها، بحنكتها المعروفة، أن تفهم مثل هذا التطور إلا كاستهدافٍ مباشرٍ يأتي في أحد جوانبه كعملية تطويق استراتيجي لها.

ما يعنينا هنا هو أن الوحدات السياسية المفبركة استعمارياً تعاني منذ النشأة لا من أزمة هوية فحسب، بل من أزمة مشروعية وطنية وتاريخية، وهو ما أدركه أجدادنا جيداً في مستهل القرن العشرين، فكانت ردة فعلهم عنيفة، تجلت مثلاً، لا حصراً، في المؤتمر السوري العام الذي عُقد في عام 1919 في دمشق (في شارع بورسعيد قرب سينما الأهرام)، والذي حضره مندوبون مما يعرف الآن باسم لبنان والأردن وفلسطين والأقاليم السورية الشمالية التي اقتطعت من سورية لاحقاً بموجب معاهدة لوزان، ومن لواء الإسكندرون طبعاً، والذي دعا إلى وحدة بلاد الشام، في سياق وحدة مع العراق ومع بقية الأمة العربية.

ولم تكن مثل تلك الدعوة "عاطفية"، إلا بمقدار ما تعبر "العاطفة" السياسية عن حس هوياتي أصيل، تاريخي، متجذر، بأننا عربٌ من بلاد الشام، فهوية المشاركين الوطنية في المؤتمر السوري العام هي الشام، وهويتهم القومية هي العروبة، ولا تناقض بين الاثنتين، كما لا تناقض بين اسمك الأول واسم عائلتك، لكن في حقل الجغرافيا السياسية ثمة مركز مكوّر لكل إقليم، ومركز بلاد الشام هو دمشق، كما يدل موقعها الجغرافي في جنوب غرب الجمهورية العربية السورية، على مقربة من لبنان والأردن وفلسطين، لتصبح في وسط بلاد الشام لو أخذناها معاً، وبصفتها مركزاً مكوراً للكتلة الإقليمية المعروفة باسم بلاد الشام، فإن التأكيد على الهوية الوطنية يعني العودة إلى المركز، إلى دمشق، كما فعل المؤتمر السوري العام، أما الابتعاد عن الهوية الوطنية فيعني محاولة اشتقاق هوية فرعية متنابذة معه، تصر على تأكيد "استقلاليتها" إزاءه، وتستعد من أجل ذلك أن ترتبط بقوى الهيمنة الخارجية، كما فعل الانعزاليون في لبنان مثلاً في خضم الحرب الأهلية اللبنانية، وكما لا تزال تفعل "قوى 14 آذار" في لبنان.

الحديث عن المركز المكور في الإقليم العربي الشامي، على المقلب الآخر، لا يتم بمعزل عن شيئين أساسيين: أولهما، طبيعة المنظومة السياسية السائدة في ذلك المركز، وما إذا كانت مستقلة أم تابعة، وثانيهما، طبيعة المنظومات السياسية السائدة في المراكز الإقليمية المجاورة، العربية، مثل العراق والجزيرة العربية ومصر، وغير العربية، مثل تركيا، وما إذا كانت تبث تأثيرات طاردة أم جاذبة عبر إقليمها.

بالنسبة للنقطة الأولى، أي طبيعة المنظومة السياسية في مركز الإقليم الشامي، فإن استقلال قرارها عن قوى الهيمنة الخارجية، بغض النظر عن أي إيجابيات أو سلبيات أخرى فيها، يعني بالضرورة، من المنظور الجغرافي السياسي، أنها لا تستطيع أن تترك نفسها عرضةً للتطويق عبر خاصرتها اللبنانية أو الأردنية أو الفلسطينية، وأنها لا تستطيع الحفاظ على استقلالها ووجودها إزاء الجار التركي الأكبر، وأنها لا تستطيع تجاهل الخطر الماثل عليها من سيطرة قوى الهيمنة الخارجية على العراق أولاً، ثم مصر، إلا بإنتاج خطاب قومي عربي هو وحده ما يتيح لها أن تمارس تأثيراً إقليمياً عابراً لحدود قُطرها بصفتها العربية، وأن تبث نفوذها ضمن مجالها الحيوي الإقليمي بصفتها العربية الشامية، لأن ممارسة دورها بصفة سورية محض، خارج نطاق الخطاب والخط القومي، هو ما يبدو تدخلاً في شؤون الآخرين.

وهذا القانون ينطبق على العراق، الواقع تاريخياً بين جارين قويين، هما إيران وتركيا، بدرجة أكبر، وينطبق على مصر بالضرورة، فمصر الساعية لاستقلالية قرارها السيادي عام 1955 أدركت جيداً أن تطويقها بـ"حلف بغداد" يهددها وجودياً، وبالتالي ما كان للدور المصري أن يبلغ مداه وتأثيره إلا بخطاب قومي عربي بلغ ذروته في الخمسينيات، كذلك لم يكن إبراهيم باشا يستطيع أن يتغلغل في بلاد الشام والجزيرة العربية في القرن التاسع عشر إلا بخطاب قومي عربي، وإجمالاً، يشكل الخطاب القومي العربي ضرورة أيديولوجية لكل دولة مركزية في الوطن العربي تسعى لتأكيد استقلالها إزاء قوى الهيمنة الخارجية ولبناء ذاتها اقتصادياً وعسكرياً مما يؤثر بالضرورة على ميزان القوى الإقليمي ويستفز قوى الهيمنة الخارجية تلقائياً، لأن القوة الصاعدة إقليمياً أو دولياً تخلق حقلاً من النفوذ والحماية من حولها، وعندما يتمدد مثل ذلك الحقل محلياً، فإنه سيصطدم بحقول النفوذ الغربية والصهيونية لا محالة، ولذلك فإن إدامة الضعف والتخلف والعمل على تناسل الهويات الفرعية هو شرطٌ موضوعيٌ لإدامة الهيمنة الإمبريالية والصهيونية، لكن ما يهمنا هو أن استثارة الهوية العربية يشكل جدار حماية من النفوذ الأجنبي ومشاريع التفكيك، أما استثارة الهويات الفرعية، الحقيقية أو المفتعلة، فيشكل مدخلاً للنفوذ الأجنبي ومشاريع التفكيك، كما يشكل التأثير الطائفي مدخلاً للنفوذ التركي مثلاً في سورية.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

يمكن أن نقول بالمقابل أن وجود منظومة سياسية تابعة في المركز الإقليمي الشامي، أو غيره، يمثل عائقاً لنهضة واستقلال أطراف الإقليم لا تستطيع تجاوزه إلا بتغير المنظومة السياسية في المركز الإقليمي ذاته، وهو ما يتطلب منها تبني خطاب هوياتي مستند إلى الهوية الجمعية للإقليم ككل، لا إلى خطاب هوياتي فرعي (لبناني أو أردني أو فلسطيني مثلاً في مواجهة سورية)، ولا يمكن لقوة صاعدة في أطراف أي إقليم أن تثبت وجودها في مواجهة المركز الإقليمي (خارج سياق العمل كجزء منه للتأثير في سياساته بصفتها الإقليمية)، إلا بالاستناد إلى قوة هيمنة خارجية مثل الإمبريالية والصهيونية، أو بالاستناد لتحالف وثيق مع قوة عربية إقليمية مركزية مجاورة، فالحديث عن إقليم شامي لا يلغي مثلاً وجود تأثيرات مصرية قوية تاريخياً في فلسطين، أو تأثيرات عراقية قوية في الأردن، لأننا أقاليم أمة واحدة في النهاية، لا أمم، لكن العبرة هي أن أطراف أي إقليم لا تقوى على ممارسة العزف المنفرد بعيداً عن مركزه إلا بالاستناد إلى قوة هيمنة خارجية، مثلاً، لا تستطيع قطر تحدي النظام السعودي في إقليم شبه الجزيرة العربية إلا بالاستناد لقواعد أمريكية وتركية... وهذا يتطلب منها، فيما يتطلبه، أن تنتج هوية فرعية وأن تكرسها، وهذا بدوره يضعف من المركز، ومن الهوية الإقليمية المشتركة (الشامية أو الجزيرية أو المغاربية مثلاً)، ومن الهوية القومية العربية، ومن المناعة العربية عموماً، فلا بد أن نركز على أن الهوية الوطنية والقومية مسألة أمن قومي، لا مسألة ترف فكري يتلهى به المثقفون وهم "يحتسون القهوة"، على حد تعبير أحد المنشورات على فيسبوك!

الهوية إذاً لا تأتي من، ولا توجد في، ولا ينتج عن تأكيدها فراغ، إنما هي تعبير عن الكائن العضوي، الاجتماعي-السياسي، الذي تمثله، فهي تتبدل وتتطور، وتزهر وتذبل، وتتقدم وتتراجع، بحسب ظروف الكينونة الاجتماعية-السياسية التي تعبر عنها، ففي مراحل المد الوطني والقومي، نجد الهوية الوطنية والقومية تزدهر وتنمو، وفي مراحل الجزر، نجدها تضمر حتى تكاد تضمحل، لكنها لا تأتي من العدم، ولا تؤول إلى عدم، فإذا تعرضت لأزمة نمو من الداخل، أو لتهديد خارجي، نجدها تصعد إلى السطح من جديد، لكنها بالأساس تعبير عن حقيقة الوجود القومي، لا نتاج التجاوب مع استفزاز خارجي، إنما الاستفزاز الخارجي هو الذي يكشف عن رأس جبل الجليد الكامن تحت سطح الحدث الراهن وزحام التفاصيل اليومية.

أزمة الهوية الوطنية في الأقطار العربية عموماً إذاً هي أنها استندت منذ البداية إلى كيانات رسم حدودها الاستعمار، وقد ازدادت تلك الأزمة حدةً بمقدار ما كانت تلك الكيانات طرفية تفتقد إلى سردية تاريخية متأصلة في التاريخ، كما في الدول العربية المركزية مثل العراق وسورية ومصر التي عرفت الدول المركزية منذ آلاف السنين، لكن الدول العربية المركزية بالذات هي التي كانت أنظمتها تصطدم بمحدودية الهوية القُطرية كلما حاولت أن تحقق نهضتها وتحمي سيادتها، مما جعلها تصطدم بالتهديد وحقول النفوذ الإمبريالية، فكان لا بد للدعوات الوحدوية أن تنطلق منها، وكان لا بد لأي دعوة وحدوية حقيقية أن تنطلق من مركز إقليمي عربي حتى لو بدأت في الأطراف لكي تحظى بالمصداقية والمقبولية عربياً، وهو ما يعني أن القوى والأحزاب والشخصيات والدول يمكن أن تتخذ مواقف وطنية، بمعنى السعي للاستقلال والتحرر والسيادة، أما الهوية الوطنية في أي قُطر عربي فلا تكون كذلك حقاً إلا إذا اتخذت بعداً قومياً عروبياً، إي إلا إذا سعت لتجاوز وجودها القُطري، لأن الاستقلال والتحرر والسيادة لا تتحقق في ظروف الهيمنة الإمبريالية والاحتلال الصهيوني، وفي ظروف المشاريع الإقليمية التوسعية لقوى غير عربية، تركيا نموذجاً، وفي ظروف تبعية الكثير من الأنظمة العربية للإمبريالية والصهيونية، إلا في سياق حركة تحرر قومي شعبية عربية.

لذلك أدى تعثر حركة التحرر القومي العربي في الخمسينيات والستينيات، وعجزها عن تحقيق الوحدة والتحرير والنهضة، وبالتالي عجزها عن حل الإشكالات الناتجة عن التجزئة والتبعية والتخلف في عموم الأقطار العربية، وفي أقطارها بالذات، إلى فتح الباب واسعاً أمام التشكيك، لا بالمشروع القومي فحسب، بل بالهوية العربية نفسها، وفي تلك الأنظمة الوطنية نفسها، وقد كانت رافعة ذلك التشكيك، ولا تزال، المد الرجعي العربي، من جهة، الذي استخدم الوهابية ومشتقاتها كأداة لتكفير الهوية الوطنية والقومية، والمد الليبرالي المعولم، من جهةٍ أخرى، الذي استخدم النزعات "الإنسانوية" (بنسخها اليسارية واليمينية) لتصوير الهوية الوطنية والقومية كشكلٍ من أشكال "العنصرية" و"الشوفينية" و"كره الأجانب" (الزينوفوبيا).

فالأنظمة الوطنية في الوطن العربي كان عليها أن تتجاوز حدودها القُطرية، المرسومة استعمارياً، في خطابها وفي عملها السياسي، لكي تمارس وطنيتها، وبمقدار ما فشلت في تحقيق أهدافها القومية، سواء جاء ذلك الفشل نتيجة أخطاء في إدارة المشروع القومي أم نتيجة عدم تكافؤ ميزان القوى بينها وبين الحلف الإمبريالي-الصهيوني-الرجعي

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

(والرجعي غير العربي)، فإنها باتت عرضة للاتهام بأنها أدخلت أقطارها في معارك "عبثية... بددت الموارد الوطنية... وخرجت بصفر اليدين"، وصار مطلوباً منها أن تتخلى عن مواقفها وخطابها القومي ("الخشبي"؟) لكي تنال وسام "العقلانية" و"الاعتدال" الذي وضعته الإمبريالية على صدر الأنظمة العربية الرجعية، وهو النهج الذي سعى أنور السادات أن يسير في ركابه، لكنه نهجٌ لم ينتج حلولاً للأزمات الاقتصادية، بل فاقم منها، وظل ثمنه يُدفع من الاستقلال والسيادة، ومن ثم من وحدة أراضي القُطر ذاته، ومن التماسك المجتمعي فيه، أي من أسس الهوية الوطنية والقومية، فليس هناك من هوية وطنية بعيداً عن الانتماء القومي، فإذا تخلينا عن عروبتنا، بذريعة الحفاظ على هوية وطنية ما ضمن حدود التقسيم الاستعماري، فإن ذلك لا يطيح بالمشروع القومي فحسب، بل يطيح بالوحدة الوطنية في القُطر نفسه، لأننا إن لم نعد عرباً، فإننا لا نصبح "سوريين" أو "أردنيين" أو "فلسطينيين" أو "لبنانيين"، بل سنصبح شيعاً وطوائف ومناطق وجهاتٍ وعشائر وحاراتٍ لا يربطنا رابط.

الهوية بالعام المجرد هي تعبير عن الوجود الاجتماعي، وليست شيئاً يصنع في مختبر معقم، والوجود الاجتماعي لا يقتصر على وجودنا الوطني، المتمثل بهوية الإقليم الذي تشكل تاريخياً كجزء من وطن عربي كبير يمثل هويتنا القومية، كأن نكون عرباً "شوام" مثلاً أو من أبناء الجزيرة العربية أو من وادي النيل أو من المغرب العربي، بل يتحقق وجودنا الاجتماعي على مستويات مختلفة، فنحن أبناء عائلات محددة، تأتي من حارات أو قرى محددة، هي جزءٌ من نواحٍ في أقاليم محددة... ونحن نمتلك هوية "جندرية" ترتبط بالذكورة والأنوثة، ونحن نقوم بعمل محدد، فنحن عمال أو موظفون أو جنود أو حدادون أو نجارون أو مهندسون أو أطباء أو أساتذة مدارس أو جامعات أو طلاب أو ربات منازل إلخ... أو نحن عاطلون عن العمل... ونحن نرتبط بأصدقاء وعلاقات اجتماعية محددة نشعر بالانتماء إليها بهذا المقدار أو ذاك، أو لا نشعر بالانتماء إليها فنعيش في غربة، وكذلك ينتمي كلٌ منا بالضرورة لفئة عمرية محددة، ونحن نعتنق ديانة محددة، أو لا نعتنق، وكل عنصر من هذه العناصر يصبح مُدخلاً في تشكيل هويتنا الفردية المتكونة من هذه العناصر المختلفة والمتنوعة.

فإذا قمنا بسؤال أحد الأشخاص: من أنت؟ أو: كيف تعرف نفسك؟ ربما تكون إجابته: أنا أستاذ مدرسة، أو أنا طالب، أو أنا موظف، وربما تكون: أنا ربة عائلة، أو أنا أب أو ابن، وربما تكون: أنا ابن حارة كذا، أو من القرية الفلانية... وفي مثل تلك الحالات السابقة لا يتخذ تعريف الهوية الفردية بعداً سياسياً إلا إذا تحول إلى منطلق حصري لممارسة العمل السياسي، وإلا إذا تحول إلى عائق أمام تكوين وعي وطني وقومي عابر للهويات الفردية المتكونة من عناصر مختلفة، قد يطغى فيها هذا العنصر الفردي أو ذاك، لكنه لا يتعارض مع الانتماء الوطني والقومي، لأنه تعبير عن انتماء فردي، يخص شخصاً محدداً في ظروفٍ محددةٍ، ولا يوضع كنقيض للانتماء الجمعي.

لكن ثمة خطورة كبرى حين يكون السؤال، لا من أنت، بل: من نحن؟ لتأتي الإجابة: نحن سنة أو شيعة أو مسيحيون، أو نحن أبناء العشيرة الفلانية، أو المنطقة الفلانية، أو المهنة الفلانية، بمعنى أن ذلك هو المحدد الأول والرئيسي في هويتنا الجمعية، وكل ما هو خارجها خارجٌ عنا وليس منا ولا نحن منه، وبصفتنا الجمعية تلك فإننا ننطلق لنبني علاقاتنا مع الآخرين... فعندها تطغى الهوية الفرعية على القاسم المشترك الأعظم مع أبناء وطننا وأمتنا، وتنشأ إمكانية التناحر.

كذلك لا تناقض بين الهوية الوطنية، التي تشكل جزءاً من الهوية القومية الأوسع، وبين الهوية العربية، ويزيد من عروبتك، ولا يقلل منها، أن تكون عربياً سورياً، أو عربياً مصرياً أو عربياً عراقياً أو عربياً من أي قطر عربي، ولكن تصبح الهوية الوطنية مشكلة عندما توضع في مواجهة العرب الآخرين، لا في مواجهة المحتل الفرنسي للجزائر مثلاً، أو المحتل الصهيوني لفلسطين، أو الأمريكي للعراق، فعندما تحتل الولايات المتحدة العراق، تدعو العروبة أن نصبح جميعاً عراقيين، وعندما يهاجم الناتو ليبيا، يفترض أن نصبح جميعاً ليبيين، وعندما احتلت فرنسا الجزائر، زاعمةً أن الجزائر فرنسية (مما خلق أزمة هوية في الجزائر مصدرها التفرنس لا تزال قائمة حتى اليوم)، كان لا بد من التأكيد على عروبة الجزائر، وأن نصبح جميعاً جزائريين، وفي العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، كان من الطبيعي أن يتماهى كل العرب الشرفاء مع المصريين، وعندما تتعرض سورية لعدوانٍ كوني، تصبح الهوية السورية عنواناً لكل العروبيين، وطالما بقيت فلسطين محتلة، فإن الهوية العربية الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الصهيوني حصرياً، تصبح عنواناً لكل العروبيين، أما عندما تصبح الهوية الفلسطينية مشروعاً لإقامة دويلة قُطرية جديدة، بالتفاهم مع الاحتلال الصهيوني والإمبريالية الأمريكية، وعندما تصبح طرفاً في صراع هوياتي "أردني-فلسطيني"، أو في صراع

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

مع المركز الإقليمي دمشق، فإنها لا تعود هوية وطنيةً أبداً، بل هوية طائفية، وينسحب الأمر ذاته طبعاً على الهويات الفرعية في بلاد الشام خصوصاً، وفي الوطن العربي عموماً.

باختصار، في البعد السياسي لهويتنا، نحن نعيش في دوائر متعددة يفترض أن تكون متحدة المركز concentric، ويفترض أن نجد نقطة التوازن فيها في ظل التحديات الخارجية وديناميكيات التطور الداخلية لهوية تمثل تعبيراً عن وجودنا الاجتماعي الذي لا يعرف السكون ولا يفتأ يتغير ويتبدل مع الزمن، ولنا في نظرية "الدوائر الثلاث" التي وضعها جمال عبد الناصر في كتاب "فلسفة الثورة" معتبراً أن دور مصر يتحقق في دوائر ثلاث، دائرة عربية، ودائرة إفريقية، ودائرة إسلامية، نموذجٌ لفكرة النطاقات متحدة المركز التي تتحقق هويتنا متعددة الأبعاد ضمنها، مع إضافة أبعاد أممية أوسع إذا شئنا لتلك الدوائر، وأبعاد فردية أضيق، لكن من بين تلك الدوائر، في هذه المرحلة من تطورنا التاريخي كعرب، فإن هويتنا العربية تظل قاسمنا المشترك الأعظم، وفي ظلها، وبشكلٍ متكاملٍ، وليس بالتضاد معها، لا تتعارض هوياتنا الوطنية التي تظل عربية في جوهرها.

مسألة الأقليات العِرقية مسألة أخرى طبعاً، فوجود أقليات قومية عند أي أمة لا يلغي حقيقة الوجود القومي، ولأبناء الأقليات القومية حقوق المواطنة كاملة، وليس لهم أن يطالبونا بـ"تعديل" هويتنا القومية جينياً بسبب وجود أقليات يوجد مثلها في كل أمة تقريباً، ولا يدعو ذلك لمطالبتها بالتخلي عن هويتها بذريعة وجود أقليات.

ملاحظات على هامش التاريخ الحديث

فارس سعادة

كتابة التاريخ بشكل تأريخي أقرب إلى حقيقة الماضي، يجب أن تكون قائمة على الفحص النقدي للمصادر، واختيار تفاصيل معينة من المواد الأصلية في تلك المصادر، وتوليف تلك التفاصيل في سرد يقف في اختبار الفحص النقدي. ومصطلح التأريخ معني أيضاً بالنظرية وتاريخ الكتابة التاريخية، أي المحتوى الاجتماعي والسياسي والثقافي المعاصر للحظة التاريخية المنشود دراستها.

والتأريخ هو أيضاً إعادة بناء السجل البشري للأنشطة في الماضي لتحقيق فهم أعمق له. وقد عرفنا في تاريخنا عشرات المصنفات في التاريخ وضعها أمثال الواقدي والدينوري والبلاذري والطبري واليعقوبي وابن فضلان والهمذاني والمسعودي وابن خلدون وغيرهم كثر، إلا أن النظرة الاستشراقية، وتلك الناقدة لها، تبدأ دوماً من التأريخ الأوروبي، حتى عندما تنتقده، مما يوقعها في شراك التحيز الاستشراقي ذاته الذي تحاول نقده...

المهم أن التأريخ في العصر الحديث أصبح رسمياً مهنة أكاديمية في أوروبا، وهذا حصل في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر (مع أن ثمة مؤرخين أوروبيين قبل ذلك التاريخ، كما سنرى لاحقاً). وهذا يعني أيضاً دراسة التاريخ أي النشاط الإنساني الطبيعي الذي لا مفر منه، فهو في النهاية تجربة إنسانية معينة ومتنوعة ومختلفة من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

السرديات التاريخية الخيالية، أي الأساطير والميثولوجيا الإنسانية، قامت على قواعد عدة منها (تصديق حدث ما يكمن في تكراره كحقيقة) والتاريخ يختلف عن الأسطورة وعن الشعر والملاحم الأدبية في أنه يستند في ادعائه إلى الحقيقة جزئياً، وذلك من خلال نوع من الأدلة الوثائقية أو المادية، ومن ذلك مثلاً دراسة الطبقات الاجتماعية الجديدة من عمال وجنود وفلاحين عبر أدلة مختلفة مثل المستندات الشخصية والوصايا وعقود الزواج...إلخ، والشك في التاريخ حاصل دوماً بسبب أن كتابة التاريخ والكتابة اختصت بالنخبة التي هي في الحقيقة أصبحت مرشحاً للمعلومات التي تصلنا في الحاضر تخفي ما تخفي وتظهر ما تريده.

الوعي التاريخي أصبح أكثر مقدرة على كتابة التاريخ بشكل أقرب إلى الحقيقة عبر الوسائل التي أتاحها التطور العلمي خلال القرن العشرين وخصوصاً من خلال علم الآثار عبر النظريات الحديثة التي تبحث بشكل فحص نقدي للمصادر والشك في كل ما كتب من تاريخ قديم وخصوصاً التاريخ الذي كتب بشكل أكاديمي عبر سرديات معينة من قبل الاستعمار قبل وخلال وبعد فترة الاستعمار الحديث، أي الاستعمار الأوروبي للعالم.

كان الكتاب المقدس "التوراة" أساسياً في تأريخ الغرب! كتاب "العهد القديم" أو "التوراة" كتاب تاريخ شعب مفترض حاول وضع قصة وتاريخ شعب وبناء هوية وتاريخ مفترض متخيل لكي يصل في النهاية إلى وعد إلاهي بامتلاك الأرض والتفوق على الشعوب الأخرى، وهي شعوب المنطقة وعلى رأسها الشعب العربي، وهذا نوع متطور من "الكتابة التاريخية" التي تهدف إلى إنشاء كيان وطني ما على أرض معينة وشرعيتها آتية من الرب نفسه شخصياً.

ساعد دمج الكتاب المقدس العبري "التوراة" في الشريعة المسيحية في تشكيل المفهوم المسيحي للتاريخ، وبالتالي الأوروبي الغربي للتاريخ بشكل كبير، كما كانت مساهمة "التوراة" كبيرة في تشكيل الفكر التاريخي والسياسي لأوروبا، وقد كان ميكافيللي (1469-1527) يوازيه بالتأثير، خصوصاً على مستوى الممارسة السياسية، فقد كان تأثير ميكافيللي كبيراً في تاريخ أوروبا السياسي من حيث أنه أكد على أهمية التاريخ وأنه طريق جديد من شأنه أن يوفر التعليم لسادة رجاله في أيامه من خلال تجميع أمثلة من التاريخ القديم وهكذا يصبح التاريخ علماً سياسياً ولكنه براغماتي، بحيث أنه استخدم التاريخ بحسب مصلحته السياسية الخارجية.

مارتن لوثر ساهم في إدخال التاريخ إلى الجامعات الألمانية، وديكارت الفرنسي شك في التاريخ وقال إنه وبالرغم من أن التاريخ يمجد العقل إلا أنه لا يمكن أن يوصل إلى معرفة، عكس العلم كالرياضيات مثلاً. فولتير يعتبر أباً للتاريخ العالمي، أو تاريخ الحياة اليومية، الذي يبحث في كل الممارسات البشرية وفي كل جانب من جوانب الحياة البشرية، أوغست كونت استطاع إدخال علم الاجتماع إلى التاريخ والدراسات التاريخية في إطار تحليل واحد، كارل لامبريشت اعتبر أن الحياة الاجتماعية والثقافية هي الأساس في التاريخ، هيجل يقول أن التاريخ تغيير ثابت... وهؤلاء جميعاً ساهموا في الدراسة الكمية والنوعية للتاريخ البشري في أوروبا ومركزة المعرفة التاريخية في أوروبا ومن ثم التنظير لها مركزياً بشكل اعتباطي مقصود أو غير مقصود بحكم تزاوج السلطة بالمعرفة في أوروبا بعد التوسع الكولونيالي الأوروبي في الشرق والأراضي الجديدة وهو ما أتاح لهم عاملين كان لهما التأثير الكبير على توسيع النظرة المركزية للأوروبيين والنظرة الفوقية للحضارات الأخرى، وهذان العاملان هما:

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

1. التراكم الرأسمالي عبر السيطرة على ثروات الشعوب الأخرى والسيطرة على الأسواق الأجنبية.
2. التحكم برأس المال الثقافي عبر السيطرة ومعرفة العلوم الأخرى عبر الترجمة والسرقات العلمية وسرقات المخطوطات وغيرها مما جمع من الشرق والأراضي الجديدة تحت مفهوم الاستشراق.

يمكن تصور التاريخ بأنه خطاب، ومن خلال الجدل يمكن تفسير التاريخ! ربما... لكن الحقيقة تقول إنه لا يمكن الوصول للماضي إلا من خلال بقاياه التي يمكن تفسيرها بشكل براغماتي مع التركيز على أهداف الجهات الفاعلة في الأحداث التاريخية، مشروطاً بالشروط المادية التي يتم بموجبها اتخاذ الاجراءات المناسبة. فالعلاقة غير المتساوية بين الشرق والغرب جعلت إدوار سعيد مثلاً يتكلم حول صورة الآخر أي صورة الشرقي... الآخر هو الشرقي، والشرق والصورة هي النتاج المعرفي الذي أنتجه المستشرق الغربي لهذا الشرق وسكانه! ويقول سعيد إن المعرفة تقود إلى السلطة ومن خلال المعرفة استطاع الغرب تمثيل الشرق بشكل صور معينة ومحددة، فقد حدد سعيد المعرفة والتمثيل كأدوات استخدمها الغرب للسيطرة على الشرق.

وهذا صحيح لكن من زاوية محددة وهي زاوية القوة والسيطرة، فصحيح أن الغرب نظر إلى الشرق والحضارات الأخرى باستعلاء إلا أنه في المقابل كان العرب في أوج حضارتهم العربية ينظرون إلى الغرب بنفس النظرة الاستعلائية، وذلك بحكم القوة والسيطرة على حقول المعرفة، مع فارق الصيرورة التاريخية التي أنجبت للغرب النظام الرأسمالي واحتكاره للمعرفة بل وسيطرته عليها بشكل تام وكامل ومستبد.

ربما تكون دراسة سعيد للاستشراق من زاوية أدبية وحيدة وضيقة جعلته ضيق الأفق بل وبعيداً عن الثورية والخطاب الثوري الحقيقي، وهذا تجلى في موقفه السياسي في فلسطين من جهة (أطروحة ثنائية القومية) وموقفه السلبي من القومية العربية من جهة أخرى، الذي تماشى مع الغرب بشكل كبير، ناهيك عن العجز المنهجي في مقولة "شرق-غرب" عن تفسير نشوء إمبريالية يابانية مثلاً، ذات أصول شرقية بالمعنى الحرفي، وإشكالية الانطلاق من الثقافة لتفسير الإمبريالية، بدلاً من الانطلاق من الأساس المادي الاقتصادي-الاجتماعي للإمبريالية في تفسير ثقافتها، كبنية فوقية تقوم على أساس من علاقات الإنتاج الرأسمالية في مرحلتها الإمبريالية، كما قال ماركس في كراسه حول المسألة اليهودية أن علينا أن نبحث عن سر اليهودية في اليهودي العملي، لا عن سر اليهودي العملي في اليهودية!

في الحقيقة إن تأريخ الفترات الما بعد كولونيالية ما هو إلا خطاب مضاد ومعاكس للخطاب الكولونيالي، وبعضها أو الأكثر راديكالية وثورية منها يهدف إلى هدم الخطاب الكولونيالي وتصدير خطاب جديد وطني يحل محله... وذلك عبر أدوات منهجية علمية تأريخية تستخدم نفس المصادر والأدوات التاريخية والعلمية والأكاديمية التي استخدمتها مؤسسات الاستعمار، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الغرب استخدم المعرفة والثقافة للسيطرة الناعمة على الشعوب الأخرى إلا أنه في الأساس كان مسيطراً بشكل مباشر دموي على هذه الشعوب مما يرجعنا للنقطة الأساس وهي العنف المضاد، أي المقاومة، وثقافة المقاومة التي لا يمكن من دونها إنتاج خطاب مضاد للإمبريالية، ومن الصعب نشر هذا الخطاب في التيار السائد على اعتبار أن القوة هي الأساس في نشر المعرفة أو السيطرة عليها.

التاريخ الاستشراقي أنتج (خلق خطاباً غير مباشر) للإشارة إلى التثاقف بين الغرب والشرق حسب هومي بابا:

يتكون السرد التاريخي فقط من البيانات الحقيقية (أي تلك الأكثر تناسقاً مع الأدلة المناسبة)، ولكن في جعلها في قصة، يعتمد المؤرخ على نفس أنواع المؤامرات والاستعارات التي تشترك في الروايات العامة. إن قراءهم مستعدون لتصديقهم ليس فقط لأنهم يقبلون بأن كل البيانات الفردية صحيحة ولكن أيضاً لأنهم يستجيبون لعناصر القصة المشتركة لثقافتهم. وبإدانة مطالبة أكثر نسبية، جادل وايت بأن مجموعة الأحداث نفسها يمكن أن تصل إلى تواريخ مختلفة، لا تحتوي كل منها إلا على بيانات حقيقية، وبالتالي لا تتأثر بأسباب تجريبية، ولكنها مستنيرة من قبل استجابات مختلفة و"مغمورة" بطرق متنوعة. (Hayden White) ورغم ما ذكر أعلاه إلا أن هذه السرديات حول الشرق بعموميته ليس كما قال فوكو بأن التاريخ كما الإنسان مفهوم عابر بل أصبح حقيقة بحاجة إلى مراجعات فكرية من قبل الشرق وأهله للرد على هذه السرديات الغربية المركزية بشكل عنيف على المستوى الخطابي نقدي ومراجع مفكك لها لإعادة بنائها من خلال أسس جديدة مبنية بشكل قومي مرجعيته تكون شعوب الشرق لا نخب الغرب ومسؤسسات الكولونيالية، وذلك عبر السيطرة السياسية على الأرض، فلا يمكن من دون قوة حقيقية أن تقاتل لا ثقافياً ولا غيره.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

كل ما سرد أعلاه لا يتعدى كونه معلومات حول التاريخ الحديث ونظرياته بشكل مقتضب جداً لتوضيح حقيقة التاريخ الحديث ومنظريه ومؤرخيه على المستوى النظري وعلى مستوى التاريخ نفسه أي الماضي. لذلك لا تنتهي الأسئلة الموجهة لنخب الوطن العربي حول التأريخ العربي الحديث (والقديم)، وما إذا كان هناك أي أفق لمشروع تأريخ عربي قومي حقيقي يقوم بالمساهمة في إعادة بناء الهوية العربية من جديد؟

أبو الأعلى المودودي: من المخابرات البريطانية إلى التآمر على "ذو الفقار بوتو".. وبينهما رجعية وتبرير للإقطاع

السيد شبل

أبو الأعلى المودودي، بحسب المفكر سمير أمين في كتابه "مذكراتي"، كان متابعاً لرجال المخابرات البريطانية في كتاباته الأصولية والنافية لفكرة المواطنة والتطور..، لدرجة أنه نسخ عنهم فقرات بعينها حرفاً بحرف، وكانت المخابرات الإنجليزية تستهدف من ذلك تخريب الحركة الوطنية الهندية، وشطب التعايش بين الهندوس والمسلمين، وهو السيناريو الذي انتهى بسلخ باكستان عن الهند في 1947، ثم خوض حروب استنزافية بين البلدين، كان فيها المودودي محرّضاً، معتبراً أن الحرب واجب جهادي مقدس. علماً بأنه حتى اليوم يوجد في الهند حوالي 172 مليون مسلم = 14% من عموم السكان، أي عدد معتبر، وربما قريب من عدد المسلمين في باكستان!.

بعيداً عمّا ذكره أمين، فإن ما نعرفه من المودودي، هو رجعيته المفرطة المتمثلة في أشياء مثل:

- معاداته للفنون والموسيقى والسينما والمسرح.

- هدمه لإمكانية تأسيس مجتمع مستقر انطلاقاً من رفضه فكرة المواطنة والمساواة بين أفراد الشعب بصرف النظر عن موروثات أو معتقدات كل فرد الدينية، لذا هاجم المودودي "جواهر لال نهرو" واعتبره عدو للدين لأنه يسعى لدمج المسلمين مع الهندوس، ويعارض التقسيم على أساس الدين!، فبحسب المودودي، ليس من حق غير المسلم تولي منصب في إدارة شؤون البلد، وليس متاحاً أمامه التصويت في الانتخابات الرئاسية أو في انتخابات النواب المسلمين، ذلك مع ملاحظة أن ثمة جدلاً آخر يورطنا فيه منهج المودودي، يتعلق بتحديد من هو المسلم؟ فهو، مثلاً، لا يعتبر أن الطائفة الأحمدية من المسلمين، من هذا الباب شجع على أعمال العنف ضدهم في لاهور بعام 1953، وهي ما أدت لتخريب عام ومقتل 200 على الأقل من أتباع هذه الطائفة، وقد حُكم عليه بالاعدام بسبب هذا التحريض، لكن الحكم خُفف نتيجة ضغط واسع وتم الإفراج عنه بعد عامين، كما أدان المودودي تعيين الأحمدي "ظفر الله خان" وزيراً للخارجية (ثمة اتهامات وطنية مبررة لهذه الطائفة نظراً لدعم الاحتلال البريطاني لها، ورضاه عنها بسبب إعلانها عدم شرعية قتاله، لكن هناك فارق بين أن يكون الموقف الرافض منطلقاً من أرضية معنية بالمصالح المعاشية والمعقولة للشعب، وبين مواقف تتأسس على أفكار غيبيّة، وتكون إشارة لانطلاق قطار يستسهل التكفير، ويتابع في التفتيت، ويبث خطاب كراهية.. إلى ما لا نهاية).

- اعتراضه على عمل المرأة أو توليها منصباً قيادياً كبيراً عاماً أو تشريعياً، ودعوته إلى حصر وجودها داخل المنزل إلا للضرورة القصوى وحينها تخرج مُغطاة بالكامل، وتعصبه لمسألة الفصل التام بين الجنسين، وعندما تم سؤاله عن تنظيم الأسرة، بغرض أن يتمتع الأطفال بحياة أرغد وتغذية أفضل، قال أن المعاناة والمحنة أشياء مطلوبة (!)، رافضًا تنظيم النسل.

.... إلى آخر هذا الصنف من المواقف.

لكن هناك جانب آخر مهم ومنسي بسيرة المودودي، وهو شراسته في الهجوم على الاشتراكية، لدرجة أنه رفض خطوة إصلاحية طبيعية جرت في معظم البلدان بالخمسينيات، وهي الإصلاح الزراعي، وتعديل نمط الملكيّة، فرغم الفقر الظاهر في باكستان، عارض المودودي «ياقات علي خان» رئيس الوزراء ومساعيه للإصلاح الزراعي، وأيّد الإقطاع، وبرر له مستخدماً تفاسير تتوافق مع هواه للنصوص الدينية، وحارب أي موقف داعٍ لتغيير هذا النمط

الإقطاعي السيئ، والذي هو صناعة بشرية أساساً ونتاج مراحل قديمة كان فيها الحاكم يهب الأراضي لمن يشاء من معاونيه وحاشيته أو حتى المُرفهين عنه، أو نتاج تدخلات استعمارية خارجية، أو امتداد لزمن كان يضع فيه القوي يده على الأرض حسب هواه.. وتماشياً مع ذلك كان مناهضاً لحقوق العمال، أو على الأقل، محذراً من الداعين لها، رافضاً أن يكون المجتمع ملتزماً بتوفير العمل، لأن هذا يستلزم هيمنة شاملة على موارد البلاد، وهو ما لا يجوز برأيه!.

وكان المودودي يعتقد بأن المجتمع سيتم إصلاحه عبر دعوة الأثرياء للالتزام بالفضيلة وحسن الخلق! وبهذا نكون قد رسمنا، بحسب المودودي، "الطريق الثالث" الذي يحل كل مشكلات الرأسمالية والاشتراكية معًا! ومن المعلوم أن جماعة الإخونج في مصر كان لها نهج قريب أو مماثل لما سبق، واصطدم الهضيبي مرشد الجماعة مع ثورة يوليو بخصوص أمور كتلك.

** المودوي تستقبله نيويورك للعلاج .. وذو الفقار بوتو خصم البيت الأبيض تستقبله المشنقة **

في 22 أيلول/ سبتمبر 1979، وبعد فترة علاج لائقة، توفي أبو الأعلى المودودي بمشفى في مدينة بافلو غرب ولاية نيويورك الأمريكية - نعم الأمريكية - !، بعد أن كان قد سلّم في 1972 قيادة "الجماعة الإسلامية"، التي أسسها في 1941، لـ" ميان طفيل محمد".

"طفيل" بدوره هو خال الجنرال محمد ضياء الحق، الذي كان قد انقلب في 5 تموز/ يوليو عام 1977، بدعم وتأييد وفتاوى من المودودي، على القائد السياسي الوحيد الذي يمكن النظر إليه بعين التقدير في باكستان، وهو ذو الفقار علي بوتو (الذي حكم كرئيس ثم رئيس وزراء بداية من ديسمبر 1971 وحتى الانقلاب)، وعُرف "بوتو" بميوله الاشتراكية، ونهجه الداعم للتصنيع والتعليم والحصول على السلاح النووي، ومحاولاته نزع فتيل التوتر مع الهند، وسياساته التي حاولت التنفس خارج المظلة الأمريكية، وقد دعم "بوتو" العرب في معركة أكتوبر 73، وتبنى سياسة عدم الانحياز، واقترب من السوفييت والصين الشعبية وصنع علاقات مع كوريا الشمالية وفيتنام وليبيا وسورية..، فأثار استياء الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.. وحصل الانقلاب ضده، ثم تم إعدامه بعد محكمة هزلية في 4 نيسان/ إبريل 1979.

وبحسب محللين وساسة، فهناك اعتقاد على نطاق واسع بأن أعمال الشغب والانقلاب ضد بوتو، وهي الأمور التي ساهمت فيها "الجماعة الإسلامية" المودوديّة، قد تمت بتدبير من وكالة الاستخبارات المركزية بسبب مخاوف البيت الأبيض من سياسات بوتو الاشتراكية التي كان ينظر إليها على أنها متعاطفة مع الاتحاد السوفياتي (شهادة وزير العدل الأمريكي السابق / رامزي كلارك في صحيفة "نيويورك تايمز" حول تشابه ظروف الإطاحة بذو الفقار بوتو مع ظروف الإطاحة بالسلفادور الليندي في تشيلي).

ويعتبر الجنرال ضياء الحق شبيه أنور السادات في مصر، وسيقوم، بحسب مصادر صحفية عربية، بتعيين طفيل (خليفة المودودي) كوزير إعلام، وسيبذل كل جهده لدعم الخطة الأمريكية في أفغانستان بالثمانينيات، وحشد المقاتلين للحرب مع السوفييت! وستلعب "الجماعة الإسلامية" المودودية دور الذراع الأيديولوجية والسياسية لنظامه، وإن كانت ثمة احتكاكات قد وقعت بين الطرفين ضمن الإطار المفهوم للصراع على النفوذ.

وقد تلقت "الجماعة الإسلامية" في باكستان، وأبو الأعلى المودودي، دعماً بشكل عام من السعودية، وأثناء الصراع مع "ذو الفقار بوتو"، وكان الدعم السعودي للمودودي برعاية فيصل آل سعود، ، الذي بذل كل جهده بالتعاون مع واشنطن

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

لإجهاض مشروع الصعود العربي بقيادة جمال عبد الناصر.. ثم تابع حكام السعودية على ذات خط فيصل في دعم المودودي وجماعته. ومن المعلوم أن المودودي كان أحد زعماء جامعة المدينة المنورة في السعودية، كما صار في 1963 عضواً مؤسساً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (منظمة يقع مقرها في مكة)، ولاحقاً أصبح أول من حاز على جائزة فيصل عام 1979!. ومن المناسب هنا لفت الأنظار إلى أن النظام الحاكم في باكستان كان سنداً عسكرياً للنظام السعودي في حربه التي شنها بالستينيات ضد الثورة اليمنية المدعومة من عبدالناصر، وكانت باكستان بدعمها للنظام السعودي وكذلك الأردني، تطمع بالمال من جهة، وتؤكد من جهة أخرى على موقعها في الصف الغربي الأنجلوساكسوني، وهو صف واضح منذ أن كانت عضواً في حلف بغداد الاستعماري المُؤسس عام 1955.. ولا يعني ما سبق أن الأمور بين السلطة الباكستانية بتلك الفترة من الخمسينيات والستينيات وبين المودودي كانت على وفاقٍ مطلق، فقد حاولت السلطة كبح "الجماعة الإسلامية" عدداً من المرات، وذلك للحفاظ على حدٍ ما من الطابع المدني والحديث للدولة، ولخفض التوترات الطائفية التي تتسبب فيها تلك الجماعة، لكن التحالف كان يشتد في إطار الصراع مع الهند، كما حصل بالحرب التي حظيت برعاية أمريكية وبدأت في أغسطس 1965 تحت حكم أيوب خان، وهو الرئيس الذي انتهى حكمه لاحقًا في 1969 بعد غضب شعبي واسع لأسباب اجتماعية ووطنية، وكان "بوتو" أحد أهم محرضيه.

بشكل عام يتنفس إرث المودودي إلى اليوم عبر أفكار الحاكميّة، التي ملأ بها كتبه، خاصة «المصطلحات الأربعة في القرآن» الذي صدر عام 1941، وهي الأفكار التي كانت هي المُلهم الأساسي لأفكار سيد قطب التي كتبها بالستينيات، وهي الأفكار التي تلاقحت مع المنهج الوهابي، لينتج عنها سائر الحركات السلفية الجهادية، وآخر نسخها "داعش"، كما تملك جماعة المودودي روابط قوية بالحركات المتطرفة في باكستان، ومنها "حركة تطبيق الشريعة (تحريك)" و"طالبان باكستان". والمودودي هو جزء من نسيج "الإخوان" العام، وقد أثر كثيراً في عبد الله عزام، وأثّر عزّام به في أسامة بن لادن خلال الحرب الأفغانية، كما كانت أفكاره خلف تنظيمات سورية المتطرفة من الستينيات وصاعداً، حيث كان له تأثيرٌ كبيرٌ على مروان حديد وسعيد حوى، وهو أيضاً المصدر الذي نهلت منه "الجماعة الإسلامية" و"تنظيم الجهاد" في مصر، كما كان له إسهام كبير عام فيما سمي بـ"الصحوة الإسلامية"، ويكفي أن نشير إلى أن من ضمن تلامذته مجموعة الطاجيكي الأفغاني/ برهان الدين رباني (مؤسس "الجمعية الإسلامية" عام 1972 – والذي اتصل مباشرة بإخوان مصر أثناء حصوله على ماجستير بالفلسفة الإسلامية من الأزهر بنهاية الستينيات – والذي كان من أوائل مترجمي كتب سيد قطب للفارسية)، وهذه المجموعة أساءت لأفغانستان كثيراً في تاريخها الحديث عندما بثّت أفكاراً رجعية تخريبية وحاولت التآمر على أول رئيس جمهورية في أفغانستان "محمد داوود خان" بخريف 1974، ثم عندما قاتلت بالتحالف مع المخابرات الأمريكية في الثمانينيات، ثم عندما انقسمت على نفسها ودخلت في حرب أهلية مريرة بعد وصولها للحكم لأربع سنوات منذ 92 وحتى أطاحت بها طالبان، ثم عندما كانت حليفة للجيوش الغربية وهي تقصف أفغانستان في 2001، ودخلت كابول بفضلها، كما كان للمودودي تأثيرٌ في "الصحوة الساداتيّة في مصر"، لدرجة أن عبد المنعم أبو الفتوح قال في كتاب "شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية" أن تسمية الجماعة السلفية المدعومة حكومياً والتي كان ينشط فيها بالجامعة في السبعينيات، باسم "الجماعة الإسلامية"، "كان محاولة لتقليد المودودي أو بتأثر منه"، لكن اللافت هنا أن "أبو الفتوح" يذكر أيضاً أن جماعات السبعينيات استمدت زخمها أو ارتبطت بتيار طلابي "إسلامي" عالمي في الخارج كان محوره في "آخن" بألمانيا الغربية حينها (!)، حيث انعقد فيها عام 1969 المؤتمر التأسيسي الأول لـ(رابطة الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية)، وقد قرّب هذا الاتحاد بين الحركة الإسلاموية في باكستان وأندونيسيا والوطن العربي وأوروبا (!!)، وتولت المنظمة طباعة كتب سيد قطب

وعبد القادر عودة وحسن البنا وأبو الأعلى المودودي.. وهذه واقعة صريحة لكيفية توظيف عواصم غربية لهذا التيار.
--

ملاحظة:
= بينظير بوتو لم تكن تشبه أبيها ذو الفقار في أفكاره الاشتراكية والمعارضة لواشنطن

* مصادر:
- باكستان / الفصل الثالث: آسيا بين الرأسمالية المنتصرة والمأزق / كتاب مذكراتي.. سمير أمين
- قصة باكستان مع الأمريكيين.. كمال خلف الطويل
- من نيويورك إلى كابول.. حسنين هيكل
- الإسلام السياسي في خدمة الإمبريالية.. سمير أمين
- الإسلام السياسي من عام الجماعة إلى حكم الجماعة.. محمد الدمرداش العقالي
- الإسلام في سوريا // محاولة لتحديد الأصولية.. مقالين لمحمد سيد رصاص
- أبو الأعلى المودودي، الجماعة الإسلامية // ذو الفقار علي بوتو.. ويكيبديا إنجليزي

صهاينة في أنقرة.. «حماة» الإسلام والمسلمين

صالح بدروشي

نودّ من خلال هذه المحاولة تسليط الضوء على موضوع يشوبه الغموض والضبابية لدى الكثير من المواطنين العرب بفعل الدعاية التي استبقت مرحلة الإعداد لعملية «الربيع العربي». ارتكز مشروع ما يسمى بـ«الربيع العربي»،حسب رأينا المتواضع، على عدة دعامات أساسية كان منها الحركة التكفيرية والجمعيات غير الحكومية الممولة أجنبياً، لكن كانت هناك بالأخص أربع دعامات أساسية تمّ إعدادها والترويج لها بعناية فائقة مادياً وإعلامياً، وهي:

1) قناة «الجزيرة» التي تم شراؤها جاهزة من الب.ب.سي، مع الحفاظ على طاقم التسيير الفني المتكون من خبراء بعضهم يهود والتي فتحت باب الحديث في المواضيع الممنوعة والمحرّم الخوض فيها والتابوهات التي فرضتها أنظمة القمع والعمالة في أغلب الأقطار العربية من أجل كسب قلوب وثقة شريحة واسعة من الجماهير العربية.
2) المدعو بـ«الشيخ» يوسف القرضاوي الذي تمّ تخريجه وتسويقه كمرجعيّة إسلامية من خلال برنامج «الشريعة والحياة» الذي أكسبه صبغة مفتي المسلمين «الأكبر»، وكذلك من خلال تنصيبه عبر المال القطري على رأس «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين»، هذه الهيئة التي تم تمكينها على حساب تغييب مجمع الإفتاء الإسلامي.
3) عزمي بشارة عضو الكنيست الصهيوني وعضو حزب راكاح الصهيوني سابقاً، حيث تم افتعال قضايا له وإخراجه من فلسطين المحتلة من أجل صناعته وتسويقه كمفكّر ومرجعية قومية بعد أن كان «شيوعياً» وتم تكليفه بالتنظير لطرح عروبي «جديد» و«مجدّد» قومي ليبرالي. جوهر الفكرة التي يروّج لها عزمي بشارة هي أن غياب الديموقراطية بمفهومها الغربي هو سبب البلاء وجذر كل المشكلات التي يعاني منها الوطن العربي، فهو يجعل مشكلة غياب «الديمقراطية» مقدَّمة حتى على الاحتلال باعتبارها أخطر من الإمبريالية وأن الاستبداد الداخلي أولى بالمقاومة من الاحتلال الخارجي الذي يمكن حتى الاستفادة منه حسب طرحه الجديد والتعاون معه لمكافحة الاستبداد الداخلي !!.. كما تم تكليفه باستقطاب المفكّرين العرب عبر الرشوة ودفعهم للكتابة في هذا المحور بمقابل سخيّ وتجنيدهم لقصف العقول.

4) والركيزة الرابعة التي تمّ إعدادها هو رجب طيب أردوغان كـ"زعيم سياسي" للمسلمين والذي تم تلميعه وتصوير تركيا الأردوغانية على أنها نموذج يُحتذى به وأنّ ما قام به حزب "العدالة والتنمية" في تركيا هو معجزة المعجزات، وتلميع الحقبة العثمانية المظلمة عبر قناة "الجزيرة"، بالإضافة إلى مسرحية منتدى "دافوس" و"حادثة" سفينة مرمرة، وتم تسويق أردوغان كنموذج ناجح وزعيم مناهض للصهيونية قادر على استقطاب الجماهير حول حركة الإسلام السياسي التي اعتمدت عليها الإمبريالية في تنفيذ مشروع "الربيع العربي".

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

هذا المرتكز الأخير (أردوغان ونظامه) هو موضوع هذه المقالة حيث سنحاول من خلال سرد بعض الحقائق التاريخية المعاصرة إزالة الغشاوة التي وضعها الإعلام المعادي لإخفاء حقيقة النظام التركي بقيادة "حزب العدالة والتنمية" الإخواني. كما سنقتبس في هذه المقالة جملة من الحقائق التاريخية الموثقة في عديد المراجع والتي ورد جانب مهمّ منها في تقرير في شكل 111 فيلم وثائقي بعنوان: "صهاينة في أنقرة" أعدّه الإعلامي المختص في الشأن التركي أسامة شحود، وهو ما أوحى لنا بكتابة هذه المقالة. يرصد هذا الفيلم الوثائقي الذي تم بثه على أربعة أجزاء تاريخ العلاقات التركية – "الإسرائيلية" منذ احتلال فلسطين المسمى بنكبة عام 1948 حتى السنوات الجارية، ويسلط الضوء في تفاصيله على مراحل نمو هذه العلاقة المشبوهة والاتفاقيات والمعاهدات الأمنية والعسكرية والاقتصادية والتي بقيت سرّية في أغلب الأحيان، ولم يتكشّف الكثير منها إلّا في السنين الأخيرة، مع العلم أن هذه الحقائق ليست تحليلات ووجهات نظر ولكن وقائع ووثائق واتفاقيات مسجّلة ومنشورة ويمكن الرجوع إليها في أيّ وقت.

بعض الأحداث ذات الدّلالة:

في سنة 1949 بتاريخ 28 مارس/آذار كانت تركيا أوّل دولة إسلامية تعترف بدولة "إسرائيل"، أي بعد أقل من عام على إعلان "تأسيسها" يوم 14 مايو/أيار 1948، وتم تبادل السفراء من الجانبين برتبة وزير مفوّض..
ومنذ سنة 1978 كانت الشركات "الإسرائيلية" لاعباً أساسياً في الحقل العسكري التركي..
وبدأت تركيا فعالياتها الدبلوماسية في ما يسمى بـ"إسرائيل" يوم 7 يناير/كانون الثاني 1950، مع تعيين أول رئيس للبعثة الدبلوماسية في الممثلية التركية بـ"تل أبيب".
توتّرت العلاقات بينهما في الستينيات والسبعينيات حيث تم تخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إلى مستوى القائم بالأعمال سنة 1956 وعادت العلاقات كاملة سنة 1963..
تم تخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي خلال السبعينيات لغاية مطلع 1980 حيث رُفعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إلى مستوى السفراء ثم عادت وخفضت إلى أدنى مستوى.

تمّ رفعها إلى مستوى القائم بالأعمال عام 1986، إلى أن تمت إعادتها إلى مستوى السفراء عام 1992، وبدأت حدّة التوتر في العلاقات بين الدولتين تخفّ بعد تصويت تركيا لصالح الكيان الصهيوني ضد مشروع قرار لحظر تمثيل "إسرائيل" في الأمم المتحدة عام 1989.
في 31 مارس آذار 1994 تم توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين تركيا والكيان الصهيوني،
ومع وصول أوّل حزب "إسلامي" إلى السلطة في تركيا سنة 1996 تطوّر التعاون العسكري وأقيمت أول تدريبات واسعة النطاق بين الجيش التركي والجيش الصهيوني عبر مناورات مشتركة جوّية وبحرية وبرّية في إطار اتفاقيتي التدريب في المجال الأمني والعسكري بين الطرفين، كما تم توقيع اتفاقيات للتعاون في مجال الصناعات الدفاعية، وأخرى للتجارة الحرة.
وفي عام 1998 أجرت قوات من البحرية التركية و"الإسرائيلية" والأميركية مناورات مشتركة في البحر الأبيض المتوسط، ومنذ عام 2000 أصبحت اتفاقية التجارة الحرّة التركية "الإسرائيلية" سارية المفعول..

ومنذ انتخاب أردوغان عام 2003 سارت العلاقات مع الكيان الصهيوني على أحسن ما يرام حتى عام 2009 حيث قام أردوغان بتوجيه انتقادات استعراضية للحرب على قطاع غزّة خلال منتدى "دافوس" الإمبريالي وتمّ تسويقه بتطبيل كبير من قناة "الجزيرة"

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

كزعيمٍ وكرمزٍ لحراكات الإسلام السياسي "مدافعاً" عن المقدسات الإسلامية .. ثم تلى ذلك التطبيل الإعلامي لبطولات أردوغان في الدفاع عن غزة فيما عرف بقضية العدوان الصهيوني على سفينة "مرمرة" التركية.

فسفينة الحرية مرمرة التي انطلقت من تركيا باتّجاه غزة لمحاولة فكّ الحصار كانت ضدّ إرادة حزب أردوغان الذي منع أيّ من نوابه من المشاركة في وفد أسطول الحرّية ولمّا قتل الجيش الصهيوني تسعة من أفراد طاقم السفينة الأتراك افتعل أردوغان حركات هاج فيها وماج بالتصريحات النارية ضد تصرّف الكيان الصهيوني الأرعن وطالب بالاعتذار والتعويض للذين قتلوا وأعلن تجميد العلاقات على عدة مستويات، ولنلاحظ هنا أنّه تجميد وليس قطع وأنه ليس على كل المستويات .. وبعد عام من الحادثة قام نتنياهو بمكالمة هاتفية لأردوغان أبلغه فيها "بحدوث أخطاء عملية خلال عملية السفينة مرمرة"، وهو ما اعتبره أردوغان اعتذاراً كافياً لإعادة الأمور إلى مجاريها، وحتى هذه المكالمة لم تأتِ إلّا بثمن دفعته تركيا وهو رفع الفيتو عن تعاون حلف النيتو مع "إسرائيل"، علماً أنّ تركيا لم تقطع العلاقات ولم تطرد السفير ولكنها استغلّت حركة التغيير الدوري للسفراء في دولة الكيان الصهيوني ولم تصادق على اعتماد السفير الجديد.. كما أنه من المعروف عند قطع العلاقات الدبلوماسية فإنّ الملحق العسكري هو أوّل شخص يغادر البلاد ولكن ظلّ الملحقان العسكريان من الطرفين في مكانيهما في أنقرة و"تل أبيب" .. ولم يقع تجميد الاتفاقيات الاقتصادية والعسكرية.. بل بعد هذه الأحداث مباشرة وافقت تركيا على نصب الدرع الصاروخي الأطلسي على الأراضي التركيّة كخطوة لحماية الأمن القومي "الإسرائيلي" ضد الصواريخ الإيرانية، وبلغ عدد الاتفاقات العسكرية بعد 2010 وبعد حادثة سفينة مرمرة الستين اتفاقية.. كما يوجد مكتب دائم لتركيا في "إسرائيل" لتشجيع الاستثمار "الإسرائيلي" مع القطاع الحكومي التركي ..

وتجدر الإشارة إلى أنه على إثر مهاجمة الجيش الصهيوني للسفينة التركية "مرمرة" المتجهة إلى غزّة وقتل جزء من طاقمها، فقبل حتى أن تعتذر حكومة الكيان الصهيوني على هجومها الإجرامي على السفينة التركية صرّح رئيس الوزراء التركي بأنّ العلاقات مع "إسرائيل" تتحسّن بتقدّم ملحوظ وأن مجال الخلافات في وجهات النظر يتقلّص يوماً بعد يوم. ومن بين مشاريع التعاون العسكري العلني نذكر تزويد شركة "إسرائيلية"- تركية بمعدّات عسكرية منها معدّات الكترونية بقيمة مليون دولار لأربعة طائرات تركية مزوّدة بنظام الإنذار والمراقبة.

كما يتبيّن من سير الأحداث أن حركات أردوغان التي تدّعي البطولة كانت مجرّد دغدغة لمشاعر الجماهير من دون أن تمسّ بجوهر العلاقات مع الكيان الصهيوني والتحالف القائم بين تركيا و"إسرائيل" في المجالات العسكرية والاستراتيجية والدبلوماسية حيث أصبحت "إسرائيل" أكبر شريك عسكري لتركيا وأكبر مورّد أسلحة إلى الدولة التركية.. وحتى في ذروة الخلاف العلني بين الطرفين كانت العلاقات مستمرّة على أعلى مستوى والتحالف متواصلاً وخلال ذلك صرّح مسؤولون صهاينة أن التعاون العسكري مع تركيا قائم ومتطوّر وخير مثال للتدليل على ذلك نذكر تطوير وتحديث طائرة "إف4 فانتوم" في تركيا.

في السياق الاستعراضي ذاته الذي يقوم به أردوغان للتعمية على تطبيعه وجرائمه في حق فلسطين والأمة العربية نورد معلومة نشرتها محطة سي.إن.إن الامريكية حول شركة ليماك التركية التي فازت في 2018 بمناقصة مشروع بناء السفارة الأمريكية في القدس، بينما كان أردوغان يولول بعد أن هاج وماج تعبيراً عن اعتراضه وامتعاضه من قرار الرئيس الأمريكي بنقل سفارة الولايات المتحدة لدى الكيان الصهيوني إلى القدس، ويقول إن القدس خطٌّ أحمر! ومن قبله كان نجم الدين أربكان، رئيس حزب الرفاه "الاسلامي" (الذي كان ينتمي له أردوغان) ورئيس تركيا آنذاك، قد قبِل ان يستقبله المسؤولون الصهاينة في القدس كعاصمة وليس في "تل أبيب" وذلك في 14 تموز/ جويلية تموز 1999، أي أنهم اعترفوا بالقدس عاصمةً للكيان الصهيوني قبل ترامب بحوالي عشرين عاماً..

كنموذج للمواقف الرسمية التركية في ظل أردوغان نورد هذا التصريح لوزير الدفاع التركي: «إن التصريحات الهجومية من قبل مسؤولي الدولتين ليست سوى خلافات سياسية ظاهرية لن تنفذ إلى العلاقات القويّة والمتينة جداً بين البلدين..» .. وعلى مدار سنوات حاول أردوغان بدعم من الإعلام الإخونجي القطري أن يسوّق نفسه كحامٍ للمسلمين ونصيرٍ مدافعٍ عن القضية الفلسطينية، وخاصة عن غزّة، ولكن ذلك كان بشكل زائف: ففي عام 2013 أنجز تعاون عسكري تمثّل في تزويد شركة «إسرائيلية» تركيا بمعدّات عسكرية (شركة إلكتا الصهيونية).

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

وفق ما أكّده الأكاديمي التركي البروفيسور التركي باريش دوستار في مقال له بتاريخ 10-12-2016 وفي حديث له مع قناة "الآن" التركية فإن "رئيس النظام التركي رجب طيب أردوغان متحالف سرياً مع الكيان الصهيوني منذ بداية استلامه للسلطة في تركيا وكل ما يفعله يصب بخدمة هذا الكيان وإن أقواله وحركاته "ليست إلّا مسرحية لإخفاء الحقائق عن الشعب التركي والشعوب العربية والإسلامية" واصفا قرار المحكمة التركية بإغلاق قضية جريمة اعتداء الكيان الصهيوني على سفينة مرمرة عام 2010 بناء على أوامر أردوغان "بالخطير جدا" مبيناً أنه يحدث لأول مرة في تاريخ القضاء في العالم أجمع وليس تركيا فقط إذ برّأت المحكمة القتلة الصهاينة الذين أقدموا على قتل تسعة مواطنين أتراك بشكل مقصود ومتعمّد عندما كانوا على متن السفينة."

وحول تصريحات أردوغان التي برّر فيها مصالحته الكيان الصهيوني وادعاءه بتقديم هذا الكيان الاعتذار عن مقتل المواطنين الأتراك أكّد دوستار أن أردوغان "يكذب" في هذا الموضوع أيضاً لأن "إسرائيل" لم تعتذر رسمياً من أنقرة إنما اكتفت بدفع أموال لعائلات الضحايا اعتبرتها "تبرعاً إنسانياً".

لقد أدّى المناخ الذي نشأ نتيجة عملية "السلام" الاستسلامية من أوسلو وما شابهها خلال تسعينيات القرن الماضي إلى تحسّن في العلاقات التركية-"الاسرائيلية"، غير أن عربدة رئيس الوزراء الصهيوني أرييل شارون المعادي حتى لهذا الاستسلام والتي أدّت إلى إشعال انتفاضة عام 2000، تسببت في توتّر العلاقات التركية-"الإسرائيلية". وبعد خمس سنوات، اتّخذت خطوات تهدف إلى تحسين العلاقات بين البلدين، حيث قام كل من وزير الخارجية التركي في ذلك الحين عبد الله غل، ورئيس الوزراء التركي آنذاك رجب طيب أردوغان، بزيارة "إسرائيل" والسلطة الفلسطينية (بفارق أربعة أشهر بين الزيارتين).

وخلال فترات المد والجزر في مستوى التمثيل الدبلوماسي بين تركيا و"إسرائيل" لم يتجاوز الخلاف والتوتّر الاحتجاج على مسلسل يسيء للطرف الآخر أو التنديد بتصريح معادٍ ومطالبات متبادلة بالاعتذار. كما أن توتّر العلاقات في الحقيقة لا يمسّ العلاقات نفسها ولكن في أقصى الحدود يمسّ مستوى التمثيل الدبلوماسي. وحتى عند غياب مثل هذا التمثيل فإنّ العلاقات العسكرية والاقتصادية ظلت متواصلة دون انقطاع.

وبتاريخ 27 يونيو/حزيران 2016 أعلن رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم توصل الطرفين "الإسرائيلي" والتركي -في العاصمة الإيطالية روما- إلى تفاهم حول تطبيع العلاقات بينهما. وضمن بنود اتفاق المصالحة بين الجانبين، قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الكيان الصهيوني إيمانويل نخشون في نوفمبر/تشرين الثاني 2016 إن بلاده عيّنت إيتان نائيه سفيراً جديداً لها في تركيا. وأما بالنسبة لتركيا فقد قال أردوغان: "قررنا تعيين كمال أوكم سفيراً لنا في "إسرائيل"، كما عينوا هم سفيراً لهم في تركيا". (كمال أوكم كان مستشار الشؤون الخارجية لرئاسة الوزراء) وعلى إثر قرار الكيان الصهيوني منع الأذان في الأراضي المحتلة في مايو/أيار 2017 لم تتجاوز ردة فعل أردوغان التصريحات واتهام حكومة الكيان بالعنصرية والتمييزية وهو من يدّعي بأنه حامي حمى الإسلام والمسلمين.. وظلّت العلاقات والسفارات في أحسن مستوى بالنسبة للتنسيق العسكري والاقتصادي والسياحي والأمني والسياسي..

لقد جاء في إحدى مقالات صحيفة البديل الالكترونية (مصر) جملة من النقاط تشرح علاقات تركيا مع الكيان الصهيوني نورد منها ما يلي:

• الكثير من محبي تجربة أردوغان في تركيا وخارجها انتظروا نفي تصريحاته بقبول الاعتذار الشكلي والتعويض المالي عن العدوان الصهيوني على السفينة التركية وقتل عشرة من طاقمها لأنها تتعارض مع ادعاءاته السابقة بأنه يحمل مشروعًا مناهضاً للكيان الصهيوني في منطقة "الشرق الأوسط"، إلا أن هؤلاء لا يدركون أنّ العلاقات التركية-"الإسرائيلية" في عهد أردوغان كانت ذات اتجاهين: الأول العلاقات الرسمية، والثاني الصعيد الشعبوي والإعلامي المنافق. فالاتجاه الثاني هو لمجاراة الموقف والشعور الطبيعي للمسلمين والعرب تجاه العدو الصهيوني، وأمّا الاتجاه الأوّل الذي هو التطبيق الفعلي على أرض الواقع فهو النتيجة الطبيعية لأن تركيا دولة تابعة لحلف شمال الأطلسي الناتو، لذلك دائماً ما يكون الاشتباك الخطابي هو الظاهر على الساحة الإعلامية لكسب التعاطف مع التجربة التركية الحالية، ولكن العلاقات الرسمية لم تتأثّر سلباً بذلك قيد أنملة.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

• منذ أن بدأ "أردوغان" حياته السياسية، وهو مدعوم من اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية عبر السفير الأمريكي في أنقرة آنذاك "مورتون إبراموفيتس"؛ ولهذا منحه المؤتمر اليهودي الأمريكي عام 2004 وسام الشجاعة، وقال المسؤول عن المؤتمر اليهودي أثناء تقديم الوسام لأردوغان: إن هذا الوسام ليس فقط تقديراً للخدمات التي قدمها أردوغان لأمريكا، بل يعد أيضاً تقديراً للخدمات التي قدمها لدولة "إسرائيل" وموقفه الطيب حيال المجتمع اليهودي في العالم.

• رغم الأزمة السياسية بين الجانبين، تُظهِر معطيات وزارة الصناعة والتجارة الصهيونية في كل عام أن حجم التبادل التجاري بين تركيا و"إسرائيل" يبلغ أعلى مستوياته، وعلى عكس المتوقع، لم يُؤدِّ التّوتر السياسي بين البلدين 2010 إلى أزمة اقتصادية، بل ازدادت العلاقات التجارية، حيث نمت التجارة التركية-"الإسرائيلية" بنسبة 19% منذ عام 2009. وتشير المعطيات إلى أن الاستيراد التركي من الكيان الصهيوني ارتفع من 1.4 مليار دولار عام 2010 إلى ذروة غير مسبوقة، بلغت مليارين في عام 2012، كما ازداد التصدير التركي للكيان من مليارَي دولار عام 2010 إلى 2.4 مليار عام 2011. فمثلاً على الصعيد العسكري، لم يمنع توتّر العلاقات التي أعقبت حادث مرمرة، من متابعة المفاوضات والاتفاق على بيع "إسرائيل" القمر الصناعي "أفق" لتركيا، ونظام الدفاع الجوي "أرو" المضاد للصواريخ، كما أنه في عام 2010 زار وزير الدفاع الصهيوني السابق إيهود باراك تركيا، ووقّع اتفاقية عسكرية تقضي بحصول تركيا على عدة أنظمة متطوّرة في مجال الطيران، وقد بلغت قيمة العقد 141 مليون دولار.

لقد تضاعفت عقود التسليح بين تركيا والصهاينة في الوقت الراهن وتحولت إلى ما يمكن اعتباره شراكة استراتيجية، فحوالي 70% من إجمالي الحركة التجارية بين الدولتين كانت عقوداً عسكرية. أذكر بهذا الصّدد تعليقاً معبّراً قرأته ذات مرّة يقول صاحبه:

- "كثيراً ما نقرأ تركيا تطرد السفير "الإسرائيلي"..، تركيا تستدعي السفير "الإسرائيلي"..، تركيا تطرد السفير "الإسرائيلي"..، .....
- ولكن في المقابل: حجم التبادل التجاري بينهما يرتفع من 2.7 مليار دولار في عام 2009 الى 5.5 مليار دولار في عام 2014 وارتفع بنسبة 14% في عام 2017 "

كما لا يمكن أن نغفل عن الإشارة إلى هراء يشيع في صفوف بعض الإسلامويين بأن أردوغان وحزبه رفضوا العدوان على العراق عام 2003، والحقيقة أن مثل هذا الكلام كذب وتضليل، فأردوغان وحزبه صوّتوا مع الحرب والسماح للقوات الأمريكية بدخول العراق عبر تركيا، وفشل ذلك المشروع في البرلمان التركي على 3 أصوات، وبعد ذلك صوتوا وتمكنوا من تمرير قرار عبر البرلمان التركي بالسماح للأمريكان باستخدام المجال الجوي التركي لضرب العراق... ولمن يرغب في المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكنه:

- أن يجد ملخصاً عما جرى في المادة المنشورة في عام 2012، والمنقولة من صفحة لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية. بعنوان: («تركيا و غزو العراق 2003 ... عن بعض الأوهام الأردوغانية» محمود عرفات) على الرابط التالي:

https://d.facebook.com/Egy.Nasser/photos/a.2138484686376278/2138484756376271/?type=3&__tn__=%2AW-R

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

- ويجد التفاصيل كاملة بقراءة تقرير مكتبة الكونغرس كاملاً عن دور تركيا بين مارس-مايو 2003 لغزو العراق، وهو تقرير شامل موثق ويعد أهم مصدر على الإطلاق لتوضيح دور تركيا في غزو العراق:
http://congressionalresearch.com/RL31794/docu-...ment.php

- ويمكن الحصول على 6 مراجع أخرى ومصدر المادة حول الموضوع في:

http://ar.mideastyouth.com/?p=15962

وفي الختام نذكّر بأنّ ما ظهر من علاج جرحى أعضاء جبهة النصرة في مشافي الكيان الصهيوني هو انعكاس للتنسيق والتعاون التركي-"الإسرائيلي" في العدوان على سورية بالإضافة إلى التقائهما كلّ من جانبه في دعم الإرهابيين تحت مسمى "المعارضة المسلّحة".

وننهي بسؤال يُعدّ إجابة شافية في حدّ ذاته: ماذا تعني مشاركة النظام التركي في المؤامرة الصهيو-أمريكية لإسقاط النظام في سورية الذي يعتبر الخط المتقدم بل رأس حربة في جبهة المقاومة ضد العدو الصهيوني في المنطقة ؟ وسورية التي كان إلى وقتٍ قريبٍ حليفاً داعماً للنظام التركي وعلى حساب بعض مصالحها أحياناً؟!!

في ذكرى شهيد العروبة (صدام حسين)

طالب جميل

تعطلت الحافلة التي توصل إلى المجد، وارتفعت أجرتها ولم يبقَ فيها شواغر لأي راكب آخر، وتم إغلاق درب الشهادة إلى إشعار آخر، ولكن هنالك (تحويله) قد يصل المرء من خلالها إلى الشهادة وقد لا يصل.

انشغل الجبناء والخونة بتساؤلات كثيرة، وأمضوا وقتاً طويلاً يبحثون عن عروبة ناقصة ... لم يعرفوا من أين تشتق؟ وتساءل بعضهم كيف نصنع تاريخاً؟ وما هي المصادر الحقيقية التي تستخرج منها الرجولة؟ حتى أن بعضهم يسأل عن الحكمة من وجود دجلة وعن علاقة الفرات بالحياة؟

كان يجب أن يمر عليهم تاريخٌ أو أكثر وبضع حضارات ليعرفوا أن الأرحام التي تنجب الجبناء تختلف في تركيبتها الفسيولوجية عن الأرحام التي يخرج منها الرجال والأبطال، وكان عليهم أن ينخرطوا في دروس خصوصية ودورات تدريبية مكثفة لتعلم أساسيات اكتساب الكرامة ومراحل الوصول إلى الرجولة وكيفية التخلص من الجبن العالق في أجسادهم وذاكرتهم، وأن يقوموا بإعداد أبحاث ودراسات علمية عميقة ليعرفوا أن ظل نخيل العراق لم يخلق ليستفيء فيه تجار الأوطان وسماسرة الأرض والعملاء.

لم يختلف حمورابي ونبوخذ نصر وآشور بانيبال والجواهري والسياب ومظفر النواب على أن هذه الأرض لا مكان فيها إلا للذين يبحثون عن المجد، ولم تختلف بغداد وبابل والكوفة والبصرة على أن شجر النخيل كلما ازداد طوله علَت هامته وازداد شموخاً واقترب من السماء.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

السَجان المرهق الجبان واللص القادم مع المحتل والسماسرة والحاملين العار أينما ذهبوا، وكل الذين أعلنوا حالة الطوارئ لحين إخلاء العراق مما تبقى فيها من عروبة، وعصابات اغتيال الشمس والنجوم لم يستطيعوا أن يلغوا فكرة الخلود، ولم يقدروا أن يمنعوا الأبطال الذين غسلوا وجوههم بالمجد وتوضئوا بالكرامة أن يقدموا رؤوسهم فدية من أجل أن لا تندثر العروبة، ولكي يبقى حذاء المتنبي أكبر وأهم من إمبراطورياتهم الوهمية .

العار لمن عاروا عروبتهم .. والذل والمهانة لمن هانت عليهم أرضهم، وإن العراق لباقٍ وإن الأمة التي تلد مثل هؤلاء الرجال لن تموت.

الصفحة الثقافية-قصة قصيرة: مكرٌ سيء

إبراهيم يونس البطوش

لازمه الأمل بنيل مآربه بالتوّ واللحظة. فأوقد النار، لكسب الوقت. لا حطبَ يابس في القفر، فأضرم بقتب ناقته. لاحت له طريدة فراح يلاحقها. راغت منه. وتبعها متخفياً. غافلها. ثم أطلق رصاصة. أخطأتها الرصاصة. والقتب يستعر. تسلق سفحا، حتى بلغ قمة الهضبة. كانت تراوح في السهل جيئة وذهاباً، كمن يبحث عن نفيس فقده. قدّر أنها من البعد ما لم يبلغها مدى بندقيته. انحدر مع السفح الآخر للهضبة نحو السهل. تعثر، وسقط، ثم نهض وواصل الانحدار، وغبار يعلوه. لجأ إلى تلة أخرى. اختبأ خلف صخرة، في انتظار أن تعود. لم يمكث طويلاً. فهرع راكضاً نحو ناره. كانت في أوج لهيبها. أرسل الطرف مع شعاع الشمس نحو كهف يقابله، فخيّلت له شجيرة يابسة. انطلق نحوها. كانت ركام حجارة، تعلوها أشواكٌ داكنة. ولج الكهف. فراعه مرأى ما يقيد طريدته في السهل المجاور. ظبيان صغيران، ولدا للتو. لم تثر نظرتيهما شفقته. ولم يلامس ذعرهما منه شغاف قلبه. كانا كمن يتوسل، ويتسول الرحمة. أيقن عودة أمهما. فجثا خلف ركام الحجارة. وفي خلده أن الصغيرين فخٌ متينٌ يوقع به في الأم. أطالت الغياب. فانطلق يغذ السير الحثيث نحو موقد النار، ومرقد الناقة. النار باتت جمراً. والناقة جوعى. عاد منتظراً أمام الكهف. أقبلت الأم مذعورة، كأنما استحال الثرى تحتها لهباً، رغم برودة. من بين الأشواك صوب بندقيته نحوها، ضغط على الزناد، وخذلته البندقية. أخرج الرصاصة، ثم أعادها بيد مرتجفة، كانت قد اقتربت أكثر، ضغط على الزناد، وأخطأها ثانية. أتبعها بأخرى مرتبكة، كادت تصيبها.. ولكن.. ولمّا كانت الثالثة رصاصته الأخيرة، غادر على عجل. أخرج في مهجعه ما يحمله من دقيق وماء. أعدّ عجينا. ووضع به على الجمر. ساق خطاه نحو الكهف، ليأتي بالصغيرين. بيد أن الأم سبقت، ونقلتهما. بحث عنهما بين الصخور، وفي الشعاب والشقوق. خارت قواه. ولم يفلح بالعثور عليهما. تملكه شعور بالغربة. عاد ليلتهم خبزه ويرحل. إذ لم يظفر بصيد. والليل بدأ يرخي سدوله. الخبز بات فحماً. الراحلة تفلتت من عقالها، ورحلت. البندقية بلا ذخيرة. والليل يدلهم.

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

قصيدة العدد:

تَنَبَّهُوا وَاسْتَفِيقُوا أيُّهَا العَرَبُ / إبراهيم اليازجي

تَنَبَّهُوا وَاسْتَفِيقُوا أيُّهَا العَرَبُ ... فقد طَمَى الخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكَبُ
فِيمَ التَّعَلُّلُ بِالآمَالِ تَخْدَعُكُم ... وَأَنْتُمُ بَيْنَ رَاحَاتِ القَنَا سُلُبُ
اللهُ أَكْبَرُ مَا هَذَا المَنَامُ فَقَدْ ... شَكَاكُمُ المَهْدُ وَاشْتَاقَتْكُمُ التُّرَبُ
كَمْ تُظْلَمُونَ وَلَسْتُمْ تَشْتَكُونَ وَكَمْ ... تُسْتَغْضَبُونَ فَلا يَبْدُو لَكُمْ غَضَبُ
أَلِفْتُمُ الْهَوْنَ حَتَّى صَارَ عِنْدَكُمُ طَبْعَاً ... وَبَعْضُ طِبَاعِ الْمَرْءِ مُكْتَسَبُ
وَفَارَقْتُكُمْ لِطُولِ الذُّلِّ نَخْوَتُكُمْ ... فَلَيْسَ يُؤْلِمُكُمْ خَسْفٌ وَلا عَطَبُ
لِلّهِ صَبْرُكُمُ لَوْ أَنَّ صَبْرَكُمُ ... فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ حِينَ الْخَيْلُ تَضْطَرِبُ
كَمْ بَيْنَ صَبْرٍ غَدَا لِلذُّلِّ مُجْتَلِبَاً ... وَبَيْنَ صَبْرٍ غَدَا لِلعِزِّ يَجْتَلِبُ
فَشَمِّرُوا وَانْهَضُوا لِلأَمْرِ وَابْتَدِرُوا ... مِنْ دَهْرِكُمْ فُرْصَةً ضَنَّتْ بِهَا الحِقَبُ
لا تَبْتَغُوا بِالْمُنَى فَوْزَاً لأَنْفُسِكُمْ ... لا يُصْدَقُ الفَوْزُ مَا لَمْ يُصْدَقُ الطَّلَبُ
خَلُّوا التَّعَصُّبَ عَنْكُمْ وَاسْتَوُوا عُصَبَاً ... عَلَى الوِئَامِ وَدَفْعِ الظُّلْمِ تَعْتَصِبُ
لأَنْتُمُ الفِئَةُ الكُثْرَى وَكَمْ فِئَةٍ ... قَلِيلَةٍ تَمَّ إِذْ ضَمَّتْ لَهَا الغَلَبُ
هَذَا الذِي قَد رَمَى بِالضَّعْفِ قُوَّتَكُمْ ... وَغَادَرَ الشَّمْلَ مِنْكُمْ وَهْوَ مُنْشَعِبُ
وَسَلَّطَ الجَوْرَ فِي أَقْطَارِكُمْ فَغَدَتْ ... وَأَرْضُهَا دُونَ أَقْطَارِ الْمَلا خِرَبُ
وَحُكِّمَ العِلْجُ فِيكُمْ مَعْ مَهَانَتِهِ ... يَقْتَادُكُمْ لِهَوَاهُ حَيْثُ يَنْقَلِبُ
مِنْ كُلِّ وَغْدٍ زَنِيمٍ مَا لَهُ نَسَبٌ ... يُدْرَى، وَلَيْسَ لَهُ دِينٌ وَلا أَدَبُ
وَكُلِّ ذِي خَنَثٍ فِي الفَحْشِ مُنْغَمِسٍ ... يَزْدَادُ بِالْحَكِّ فِي وَجْعَائِهِ الجَرَبُ
سِلاحُهُمْ فِي وُجُوهِ الخَصْمِ مَكْرُهُمُ ... وَخَيْرُ جُنْدِهُمُ التَّدْلِيسُ وَالْكَذِبُ
لا يَسْتَقِيمُ لَهُمْ عَهْدٌ إِذَا عَقَدُوا ... وَلا يَصِحُّ لَهُمْ وَعْدٌ إِذَا ضَرَبُوا
إِذَا طَلَبْتَ إِلَى وُدٍّ لَهُمْ سَبَبَاً ... فَمَا إِلَى وُدِّهِمْ غَيْرُ الْخُنَى سَبَبُ
وَالْحَقُّ وَالبُطْلُ فِي مِيزَانِهِمْ شُرَعٌ ... فَلا يَمِيلُ سِوَى مَا مَيَّلَ الذَّهَبُ
أَعْنَاقُكُمْ لَهُمْ رِقٌّ وَمَالُكُمُ ... بَيْنَ الدُّمَى وَالطِّلا وَالنَّرْدِ مُنْتَهَبُ
بَاتَتْ سِمَانُ نِعَاجٍ بَيْنَ أَذْرُعِكُمْ ... وَبَاتَ غَيْرُكُمُ لِلدَّرِّ يَحْتَلِبُ
فَصَاحِبُ الأَرْضِ مِنْكُمْ ضِمْنَ ضَيْعَتِهِ ... مُسْتَخْدَمٌ وَرَبِيبُ الدَّارِ مُغْتَرِبُ
وَمَا دِمَاؤُكُمُ أَغْلَى إِذَا سُفِكَتْ ... مِنْ مَاءِ وَجْهٍ لَهُمْ فِي الفَحْشِ يَنْسَكِبُ
وَلَيْسَ أَعْرَاضُكُمْ أَغْلَى إِذَا انْتُهِكَتْ ... مِنْ عِرْضِ مَمْلُوكِهِمْ بِالفِلْسِ يُجْتَلَبُ
بِاللهِ يَا قَوْمَنَا هُبُّوا لِشَأْنِكُمُ ... فَكَمْ تُنَادِيكُمُ الأَشْعَارُ وَالْخُطَبُ
أَلَسْتُمُ مَنْ سَطَوا فِي الأَرْضِ وَافْتَتَحُوا ... شَرْقَاً وَغَرْبَاً وَعَزّوا أَيْنَمَا ذَهَبُوا
وَمَنْ أَذَلُّوا الْمُلُوكَ الصِّيدَ فَارْتَعَدَتْ ... وَزَلْزَلَ الأَرْضَ مِمَّا تَحْتَهَا الرَّهَبُ

العدد رقم (56) صدر في 1 كانون الثاني عام 2019 للميلاد

وَمَنْ بَنوا لِصُـرُوحِ العِـزِّ أَعْمِـدَةً ... تَهْوِي الصَّوَاعِـقُ عَنْها وَهْيَ تَنْقَلِـبُ
فَمَـا لَكُـم وَيْحَكُـم أَصْبَحْتُـمُ هَمَلاً ... وَوَجْـهُ عِزِّكُمُ بِالْهَـوْنِ مُنْتَقِـبُ
لا دَوْلَـةٌ لَكُـمُ يَشْتَـدُّ أَزْرَكُـمُ ... بِهَـا، وَلا نَاصِرٌ لِلْخَطْـبِ يُنْتَـدَبُ
وَلَيْسَ مِـنْ حُرْمَـةٍ أَوْ رَحْمَـةٍ لَكُمُ ... تَحْنُـو عَلَيْكُم إِذَا عَضَّتْـكُمْ النُّـوَبُ
أَقْدَارُكُـم فِـي عُيُـونِ التُّـرْكِ نَازِلَـةٌ ... وَحَقُّـكُم بَيْنَ أَيْـدِي التُّـرْكِ مُغْتَصَبُ
فَلَيْسَ يُـدْرَى لَكُـمْ شَـأْنٌ وَلا شَـرَفٌ ... وَلا وُجُـودٌ وَلا اسْـمٌ وَلا لَقَـبُ
فَيَـا لِقَوْمِـي وَمَـا قَوْمِـي سِوَى عَـرَب ... وَلَـنْ يُضَيَّـعَ فِيْهُـم ذَلِـكَ النَّسَـبُ
هبْ أَنَّـهُ لَيْسَ فِيكُم أَهْلُ مَنْزِلَـةٍ ... يُقَلَّـد الأَمْـرَ أَوْ تُعْطَى لَـهُ الرُّتَـبُ
وَلَيْسَ فِيكُمْ أَخُو حَـزْمٍ وَمَخْبَـرَةٍ ... لِلْعَقْـدِ وَالْحَـلِّ فِـي الأَحْكَامِ يُنْتَخَبُ
وَلَيْسَ فِيكُمْ أَخُو عِلْـمٍ يُحَكَّـمُ فِـي ... فَصْلِ القَضَـاءِ وَمِنْكُـمْ جَـاءَتِ الكُتُبُ
وَلَيْسَ فِيكُمْ فِيكُم دَمٌ يَهْتَاجُـهُ أَنَـفٌ ... يَوْمَـاً فَيَدْفَـعَ هَذَا العَـارَ إِذْ يَثِـبُ
فَاسْمِعُونِي صَلِيـلَ البِيـضِ بَارِقَـةً ... فِي النَّقْـعِ إِنِّي إِلى رَنَّاتِـهَا طَـرِبُ
وَأَسْمِعُونِي صَـدَى البَـارُودِ مُنْطَلِقَـاً ... يُـدَوِّي بِـهِ كُلُّ قَـاعٍ حِينَ يَصْطَخِبُ
لَمْ يَبْقَ عِنْدَكُـمُ شَيءٌ يُضَـنُّ بِـهِ ... غَيرَ النُّفُـوسِ عَلَيْهَا الذُّلُّ يَنْسَحِـبُ
فَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَاسْتَغْنُوا بِرَاحَتِـهِ ... عَنْ عَيْشِ مَنْ مَاتَ مَوْتَاً مُلْـؤُهُ تَعَبُ
صَبْـرَاً هَيَـا أُمَّـةَ التُّـرْكِ التِي ظَلَمَـتْ ... دَهْـرَاً فَعَمَّـا قَلِيـلٍ تُرْفَـعُ الحُجُـبُ
لَنَطْلُبَـنَّ بِحَـدِّ السَّيْـفِ مَأْرَبَنَـا ... فَلَـنْ يَخِيـبَ لَنَـا فِـي جَنْبِـهِ أَرَبُ
وَنَتْرُكَـنَّ عُلُـوجَ التُّـرْكِ تَنْـدُبُ مَـا ... قَـدْ قَدَّمَتْـهُ أَيَادِيهَـا وَتَنْتَحِـبُ
وَمَنْ يَعِـشْ يَرَ وَالأَيَّـامُ مُقْبِلَـةٌ ... يَلُـوحُ لِلْمَـرْءِ فِي أَحْدَاثِهَا العَجَبُ

قبل أكثر من مئة عام مضت، أطلق الشاعر والمفكر إبراهيم اليازجي قصيدته الشهيرة صرخةً لكل عربي رازح تحت الاحتلال العثماني آنذاك، ولئن نشرها باسم مستعار في ذلك الوقت خوفاً من بطش السلطات، فإن الشاعر واللغوي والسياسي الذي سكن بداخله، اعتاد العمل السري إثر انخراطه في الجمعية العلمية السورية في بيروت، وهنالك رأس تحرير العديد من المجلات مثل الضياء، النجاح، الطبيب والبيان... بالإضافة لإتقانه العربية والعبرية والسريانية، اللغات التي درسها لغاية تنقيح الكتاب المقدس مكلفاً من الآباء اليسوعيين، كما قال عنه الشيخ المنفلوطي ذات يوم: هو أكبر عالم لغوي في العصر الحاضر واتفق له ما لا يتيسر إلا لقليل من اللغويين من قوة البيان وبراعة الإنشاء، فهو فخر سورية خاصة والعرب عامة، ولو أن الله أبقاه للغة العربية لنالت فوق ما نالت على يده خيراً كثيراً.

ولد الشاعر في بيروت 1847، وتوفي في القاهرة 1906..

كاريكاتور العدد

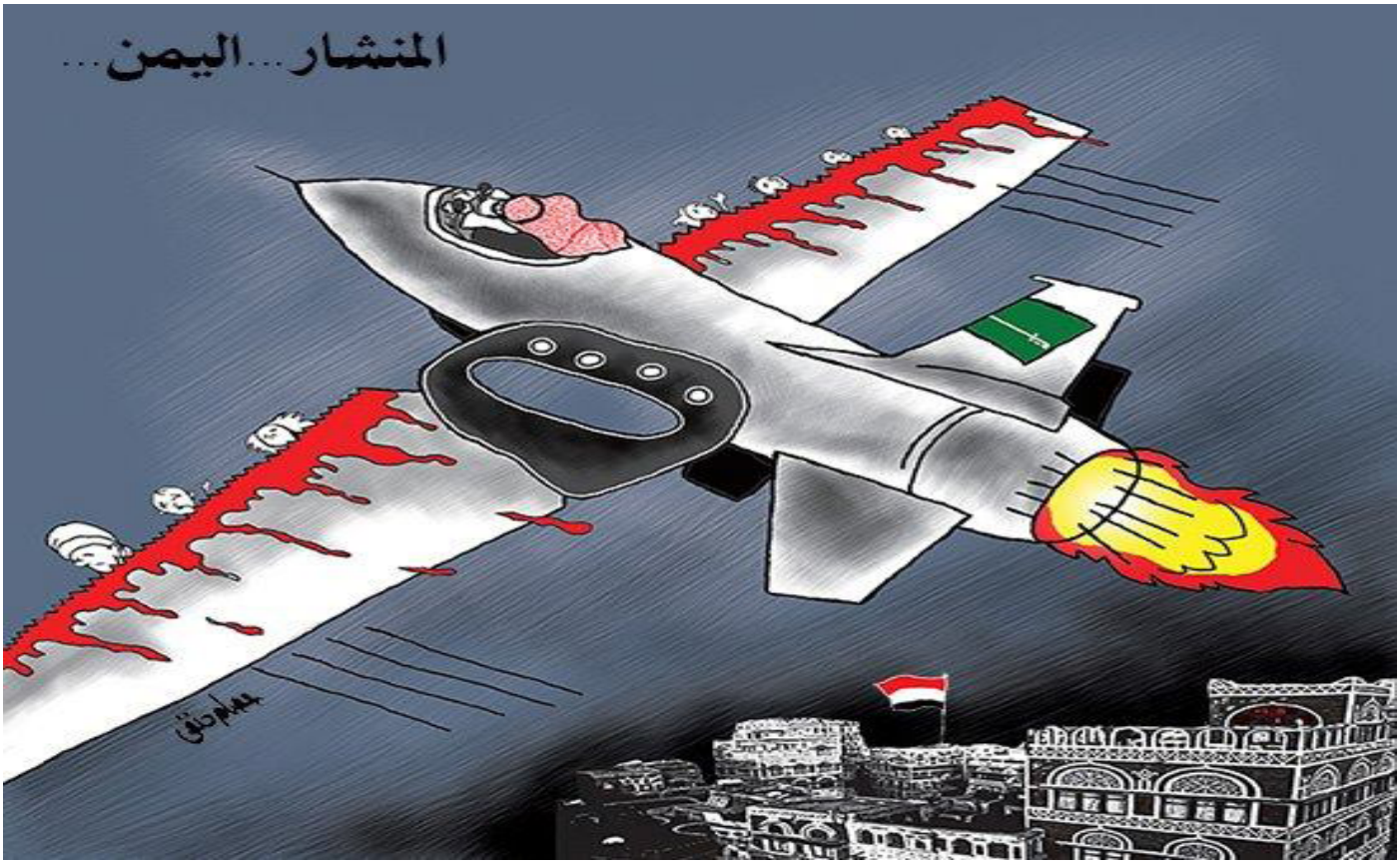

انتهى العدد